الخائفون من الله

تأليف الداعية الإسلامى
محمد عبد الملك الزغبى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

١٤٢٠ ـ ٢٠٠٠

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرُور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومَنْ يُضْلل فلا هادى له، رَفَعَ السماء بلا عمد، وخلق الأرض على ماء جمد، وصدق القائل إذ يقول:

عَجِبْتُ للأرض تُعْطِى الْخَيْرَ أهليها — مَنْ ذَا الَّذى يُجْبِرها عَلى إنْبَاتِ ما فيها؟
عَجِبْتُ لِلسَّمَاء مَنِ الذى رَفَعَهَا — ومن السُّقُوط يحميها؟
عَجِبْتُ لِلْجِبَالِ الشُّمِّ الرَّاسياتِ من الذى — ثَبَّتَهَا ومَنْ فى الأرض يرسيها؟
عَجِبْتُ لِلْحَيَّة اللقطاء مَسْكَنُهاَ بين الصخر — ولا مَاءَ بين الصَّخْر يرويها!!

وأشهد أن لا إلَهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له:

فيا عجبًا كَيْفَ يُعصى الإلهُ — أو كيف يجحده الجاحدُ؟
وفى كُلِّ شَيْءٍ له آية — تَدُلُّ على أنه واحد!

وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه - ﷺ .

﴿يا أيُّها الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حقَّ تُقاته ولا تمُوتُنَ إلاَّ وأنتم مُسْلمُون﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُم مّن نَّفْسٍ واحدةٍ وخلق منها زوْجها وبَثَّ منْهُمَا رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذي تساءلُون به والأرْحَام إنَّ اللَّهَ كان عليْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سديدًا . يُصْلحْ لكُمْ أعْمَالكُمْ ويَغْفرْ لكُمْ ذُنُوبَكُمْ ومَن يُطعِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فقدْ فاز فوْزًا عظيمًا﴾

[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فهذا كتاب طيب والحمد لله، قمت بتأليفه وأسميته «الخائفون من الله» - أدعو الله تبارك وتعالى أن يـجعلنا منهم، وأن يجعلنا من الذين يتقـونه حق تقاته، وأن يجعلنا من الذاكرين لا من الغافلين، وصدق القائل إذ يقول:

إذا ما قال لـــى ربـــى ... أمَا استحييت تعصينى

وتخفى الذنب عن خلقى ... وبالعصيان تأتينـــى؟!

وهذا وأرجو الله سبحانه أن يتقبله وأن يجعله خالصا لوجهه. والحمد لله رب العالمين.

المؤلف/ الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبى

مؤلف برابطة العالم الإسلامى برقم (٤٩٣/ب).

عضو العلاقات العامة العربية برقم (١١٦٦)

دراسات عليا بالدراسات الإسلامية.

المنصورة

معنى الخوف (*)

* الخَوْفُ: تَوَقُّعُ مكروه عن أَمَارة مَظْنُونَة أو مَعْلُومَة، كما أَنَّ الرَّجَاءَ والطَّمَعَ: تَوَقُّعُ محبوبٍ عن أمارةٍ مَظْنُونةٍ أَوْ مَعْلُومَةٍ.

ويُضَادُّ الخوفَ الأمنُ. ويستعمل ذلك فى الأمور الدنيوية والأخروية **﴿ويرجُون رحْمَتهُ ويخافُون عذابه﴾**[1]، و**﴿وكَيْفَ أَخَافُ ما أَشْرَكْتُمْ وَلا تخافُون أَنَكُمْ أَشْرَكْتُم باللَّه﴾**[2]، و**﴿تتجافَىٰ جُنُوبُهُمْ عن الْمضاجع يدْعُون ربَّهُمْ خوْفًا وطمعًا﴾**[3]، **﴿وإنْ خفتُمْ ألاَّ تُقْسطُوا﴾**[4] وقوْلُهُ: **﴿وإنْ خفْتُمْ شقاق بيْنهما﴾**[5].

وحقيقته: وإن وَقَعَ لكم خَوْفٌ مِنْ ذلك لمعرفتكم.

والخوف من الله: لا يُرَادُ به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكَفُّ عن المعاصى واختيار الطاعات. ولذلك قيل: لا يُعَدُّ خَائفاً مَنْ لم يكن للذنوب تاركاً.

والتخويف من الله تعالى هو الحثُّ على التَّحرُّزِ، وعلى ذلك قَوْلُهْ تعالى: **﴿ذلك يُخوِّفُ اللَّهُ به عبادهُ﴾**[6].

ونهى الله تعالى عن مخافة الشيطان، والمبالاة بتخويفه، فقال: **﴿إنَّما ذلكُمُ الشَّيْطانُ يُخوِّفُ أَوْلياءَهُ فلا تخافُوهُمْ وخافُون إن كُنتُم مُّؤْمنين﴾**[7].. أى فلا تأتمروا لشيطان، وائتمروا لله.

وقَوْلُهُ تعالى: **﴿وإنِّي خفْتُ الْموالي من ورائي﴾**[8].. فخوفه منهم أَنْ لا يُرَاعُوا الشريعةَ، ولاَ يَحْفَظُوا نظَامَ الدِّين، لا أَنْ يَرِثُوا مَالَهُ، كما ظَنَّهُ البَعْضُ. فالقَنيَّاتُ الدنيوية أخَسُّ عند الأنبياء عليهم السلام من أن يشفقوا عليها.

والخِيفَةُ: الحالةُ التى عليها الإنسانُ من الْخَوْف. **﴿فأَوْجس في نفْسه خيفةً**

(*) راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ لسميح عاطف الزين.

(1) سورة الإسراء: (٥٧).
(2) سورة الأنعام: (٨١).
(3) سورة السجدة: (١٦).
(4) سورة النساء: (٣).
(5) سورة النساء: (٣٥).
(6) سورة الزمر: (١٦).
(7) سورة آل عمران: (١٧٥).
(8) سورة مريم: (٥).

موسىٰ ﴿ قُلْنا لا تخف﴾[1]. واسْتُعْمِلَ اسْتِعْمالَ الخَوْف في قَوله ﴿والملائكة من خيفته﴾[2]، وقَوْله: ﴿ تخافُونهُمْ كخيفتكُمْ أنفُسكُم﴾[3]- أي كخوفكم.

وتخصيص لَفْظ الخيفة تنبيهًا أَنَّ الخَوْفَ منْهُمَ حالَةٌ لازِمَةٌ لا تُفارِقُهُمْ.

والتَّخَوُّفُ: التنقصُ، وهو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى أَحَدٌ منهم، وتلك حالةٌ يُخَافُ مَعَهَا الفناء.

ويُتَخَوَّفُ الهَلاَكُ نحو قوله تعالى: ﴿أوْ يأْخُذهُمْ علىٰ تخوُّف﴾[4].

بعض آيات الخوف من القرآن

قال الله تعالى: ﴿وإيَّاي فارْهبُون﴾ [البقرة: ٤٠] وقال تعالى ﴿إنَّ بطْش ربك لشديد﴾ [البروج: ١٢] وقال تعالى: ﴿ وكذلك أخْذُ ربك إذا أخذ القُرىٰ وهي ظالمةٌ إنَّ أخْذهُ أليمٌ شديد* إنَّ في ذلك لآيةً لِّمنْ خاف عذاب الآخرة ذلك يومٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وذلك يوْمٌ مَّشْهُودٌ * وما نُؤخِّرُهُ إلاَّ لأجلٍ مَّعْدُود * يوْم يأْت لا تكلَّمُ نفْسٌ إلاَّ بإذْنه فمنْهُمْ شقيٌّ وسعيدٌ * فأمَّا الَّذين شقُوا ففي النَّار لهُمْ فيها زفيرٌ وشهيق﴾ [هود: ١٠٣- ١٠٦] وقال تعالى: ﴿ويُحذِّرُكُمُ اللَّهُ نفْسه﴾ [آل عمران: ٣٨] وقال تعالى: ﴿يوْم يفرُّ الْمرْءُ منْ أخيه * وأُمِّه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يوْمئذٍ شأْنٌ يُغْنيه﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧] وقال تعالى: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمْ إنَّ زلْزلة السَّاعة شيْءٌ عظيمٌ * يوْم تروْنها تذْهلُ كُلُّ مُرْضعةٍ عمَّا أرْضعتْ وتضعُ كُلُّ ذات حمْلٍ حمْلها وترى النَّاس سُكارىٰ وما هُم بسُكارىٰ ولكنَّ عذاب اللَّه شديد﴾ [الحج: ١- ٣] وقال تعالى: ﴿ولمنْ خاف مقام ربِّه جنَّتان﴾ [الرحمن: ٤٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿وأقْبل بعْضُهُمْ علىٰ بعْضٍ يتساءلُون * قالُوا إنَّا كُنَّا قبْلُ في أهْلنا مُشْفقين * فمنَّ اللَّهُ عليْنا ووقانا عذاب السَّمُوم * إنَّا كُنَّا من قبْلُ ندْعُوهُ إنَّهُ هُو الْبرُّ الرَّحيم﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٨] والآيات في الخوف كثيرة.

---

(١) سورة طه: (٦٧).
(٢) سورة الرعد: (١٣).
(٣) سورة الروم: (٢٨).
(٤) سورة النحل: (٤٧).

بعض أحاديث الخوف من السنة

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خاف أدلج، ومن أدلج، بلغ المنزل إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن. و«أدلج» إسكان الدال ومعناه سار من أول الليل، والمراد التشمير في الطاعة. والله أعلم.

الحديث الثاني

عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرْلاً**» قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض !؟ قال: « **يا عائشة الأمر أشد من أن يهمهم ذلك**».

وفي رواية «الأمر أهم من أن ينظر بعضهم إلى بعضهم «بعض» متفق عليه «غرْلاً» بضم العين المعجمة، أي: غير مختونين.

الحديث الثالث

عن المقداد، رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: « **تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل» قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد فوالله ما أدري ما يعني بالميل أمساقة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين «فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى ركبتيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله بيده إلى فيه**»رواه مسلم.

الحديث الرابع

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون، أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى. والله لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً وبكيتم كثيراً وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات وتجأرون إلى الله تعالى**» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

الحديث الخامس

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**» متفق عليه. ومعنى يذهب فى الأرض: ينزل ويغوص.

الحديث السادس

وعن ابن مسعود، رضى الله عنه، قال حدثنا رسول الله ﷺ: وهو الصادق المصدوق «إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه. أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك. ثم يكون مضغة مثل ذلك. ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه، وأجله، وعمله وشقى أو سعيد فو الذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها» متفق عليه.

الحديث السابع

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ يقول: «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه» متفق عليه.

الحديث الثامن

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام» مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**» رواه مسلم.

الحديث التاسع

وعنه قال كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وَجبةٌ فقال «**هل تدورن ما هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمى به فى النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوى فى النار الآن حتى انتهى إلى قعرها فسمعتم وجبتها**» رواه مسلم.

الحديث العاشر

وعن النعمان بن بشير، رضى الله عنهما، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه ما يرى أن أحداً أشد منه عذابًا وإنه لأهونهم عذاباً»** متفق عليه.

الحديث الحادى عشر

وعن سمرة بن جندب، رضى الله عنه أن نبى الله، ﷺ قال: «...**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى رُكبتيه ومنهم من تأخذه إلى حُجزته ومنهم من تأخذه إلى تَرقُوته**» رواه مسلم.

الحديث الثانى

عن عدى بن حاتم رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه حجاب**» «ترجمان» فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه اتقوا النار ولو بشق تمرة» متفق عليه.

الحديث الثالث عشر

عن أنس رضى الله عنه، قال خَطَبَنا رسول الله ﷺ خُطبة ما سمعت مثلها قط فقال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ: وجوههم، ولهم خَنينٌ. متفق عليه وفى رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عرضت علىَّ الجنة والنار، فلم أرَ كَاليوم فى الخير والشر ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً فما أَتَى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه غطوا رُؤسهم ولهم خَنينٌ. الخنين بالخاء المعجمة: هو البكاء مع غنة وانشتاق الصوت من الأنف.

الحديث الرابع عشر

عن أبى بَرزَةَ - براءٍ ثم زاى - نَضلَة بن عبيد الأَسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عُمره فيما أَفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفِيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه**» رواه الترمذى

وقال حديث حسن.

الحديث الخامس عشر

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قـرأ رسول الله ﷺ :- «﴿**يومئـذ تحدث أخبـارها**﴾» ثم قال «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسـوله أعلم قال «**فإن أخبـارها أن تشهـد على كل عبد أو أمـة بما عمل على ظهـرها تقول: عـملت كذا وكذا فى يوم كذا وكذا فهذه أخبارها**» رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

الحديث السادس عشر

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن واستمع الإذن** متى يؤمر **بالنفخ فينفخ**» فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسـول الله ﷺ فقال لهم «**قولوا حسبنا الله ونعم الـوكيل**» رواه الترمذى وقال حديث حسن. «القرن هو الصور الذى قال الله تعالى: ﴿**ونفخ فى الصور**﴾ كذلك فسره رسول الله ﷺ».

*****

منزلة الخوف

وهى من أجل منازل الطريق وأنفعها للقلب وهى فرض على كل أحد قال الله تعالى: ﴿ **فلا تَخافُوهُمْ وخافُون إن كُنتُم مُؤْمنين** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿**وإيَّاي فارْهبُون**﴾[2] وقال: ﴿ **فلا تخْشوُا النَّاس واخْشوْن**﴾[3] ومدح أهله فى القرآن وأثنى عليهم فقال: ﴿ **إنّ الَّذين هُم مّنْ خشْية ربّهم مُّشْفقُون (٥٧) والَّذين هُم بآيات ربّهمْ يؤْمنُون (٥٨) والَّذين هُم بربّهمْ لا يُشْركُون (٥٩) والَّذين يُؤْتُون ما آتوْا وّقُلُوبُهُمْ وجلةٌ أنَّهُمْ إلىٰ ربّهمْ راجعُون (٦٠) أُوْلٰئك يُسارعُون في الْخيْرات وهُمْ لها سابقُون**﴾[4] وفى المسند والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت: قلت يارسول الله، قول الله: ﴿**والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة**﴾ أهو الذي يزنى، ويشرب الخمر، ويسرق؟ قال: لا ياابنة الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق. ويخاف أن لايُقبل منه» قال الحسن: عملوا والله بالطاعات واجتهدوا فيها. وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن جمع إحسانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنا .

و «الوجل» و «الخوف» و «الخشية» و«الرهبة» ألفاظ متقاربة غير مترادفة. قال أبو القاسم الجنيد: الخوف ترقع العقوبة على مجارى الأنفاس .

وقيل: الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر الخوف .

وقيل: الخوف قوة. العلم بمجارى الأحكام. وهذا سبب الخوف لا أنه نفسه.

وقيل: الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره .

و«الخشية» أخص من الخوف. فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿**إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ فهى خوف مقرون بمعرفة. وقال النبى ﷺ «**إنى أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**» .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٥.
(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .
(٣) سورة البقرة الآية ٤٠ .
(٤) سورة المؤمنون الآيات ٥٧ ـ ٦١ .

فالخـوف حركة. والخشـية انجمـاع، انقباض وسكون. فـإن الذى يرى العدو والسيل ونحو ذلك: له حالتان .

إحداهما : حركة للهرب منه، وهى حالة الخوف .

والثانـية: سكونه وقـراره فى مكان لايصل إليه فـيه. وهى الخـشيـة. ومنه: انخش الشئ، والمضاعف والمعتل أخوان. كتقضى البازى وتقضض .

وأما «الرهبة» فـهى الإمعان فى الهرب من المكروه. وهى ضـد «الرغبة» التى هى سفر القلب فى طلب المرغوب فيه .

وبين الرهَبُ والهرب تناسب فى اللفظ والمعنى . بـجمعها الاشـتقاق الأوسط الذى هو عقد تقاليب الكلمة على معنى جامع .

وأما «الوجل» فرجـفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعـقوبته أو لرؤيته.

وأما «الهيـبة» فخوف مقـارن للتعظيم والإجلال، وأكثر مـايكون مع المحبة. والإجلال تعظيم مقرون بالحب .

فالخـوف لعامـة المؤمنين. والخشـية للعلـماء العارفـين. والهيبـة للمحـبين. والإجلال.للمقـربين. وعلى قدر العلم والمعرفة يكـون الخوف والخشية. كـما قال النبى ﷺ :«إنى لأعلمكم بالله. وأشدكم له خشية» وفى رواية «خوفا» وقال« لو تعلمون مـاأعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيـتم كثيراً ولما تلذذتم بالنسـاء على الفرش ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون إلى الله» فصاحب الخـوف: يلتجئ إلى الهرب. والإمسـاك، وصاحب الخشيـة: يلتجئ إلى الاعتصـام بالعلم. ومثلهمـا مثل من لاعلم له بالطب. ومـثل الطبيب الحـاذق، فالأول يلتجئ إلى الحـمية والهرب. والطبيب يلتجئ إلى معرفته بالأدوية والأدواء .

قـال أبو حفص: الخـوف سـوط الله، يُقَوِّم به الشـاردين عن بابه. وقـال: الخوف سـراج فى القلب. به يبصر مـافيه من الخيـر والشر. وكل أحد إذا خفـته

(*) راجع مدارك السالكـين بين منازل إياك نعبد وإياك نستـعين للإمام السلفى العلامة المحـقق أبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ٦٩١ ـ ٧٥١ .

هربت منه إلا الله عز وجل. فإنك إذ خفته هربت إليه .

فالخائف هارب من ربه إلى ربه .

قال أبو سليمان: مافارق الخوف قلبًا إلا خرب. وقال إبراهيم بن سفيان: إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها. وطرد الدنيا عنها. وقال ذو النون: الناس على الطريق مالم يزل عنهم الخوف. فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق. وقال حاتم الأصم: لا تغتر بمكان صالح. فلا مكان أصلح من الجنة، ولقى فيها آدم مالقى، ولا تغتر بكثرة العبادة ، فإن إبليس بعد طول العبادة لقى مالقى. ولا تغتر بكثرة العلم ، فإن بلعم بن باعوراء لقى مالقى وكان يعرف الإسم الأعظم، ولاتغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم ، فلا شخص أصلح من النبى ﷺ. ولم ينتفع بلقائه أعداؤه والمنافقون .

والخوف ليس مقصودًا لذاته: بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل. ولهذا يزول بزوال الخوف، فإن أهل الجنة لاخوف عليهم ولاهم يحزنون .

*****

درجات الخوف

والخوف يتعلق بالأفعال: والمحبة تتعلق بالذات والصفات. ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم. ولا يلحقهم فيها خوف. ولهذا كانت منزلة المحبة ومقامها أعلى وأرفع من منزلة الخوق ومقامه .

والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل. فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط .

قال أبو عثمان: صدقُ الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرًا أو باطنًا .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله .

وقال صاحب المنازل:

«الخوف: هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الخبر» .

يعنى الخروج عن سكون الأمن باستحضار ما أخبر الله به من الوعد والوعيد.

قال«وهو على ثلاث درجات . الدرجة الأولى: الخوف من العقوبة. وهو الخوف الذى يصح به الإيمان. وهو خوف العامة. وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة» .

والخوف مسبوق بالشعور والعلم. فمحال خوف الإنسان مما لاشعور له به.

وله متعلقان. أحدهما: نفس المكروه المحذور وقوعه. والثانى: السبب والطريق المفضى إليه. فعلى قدر شعوره بإفضاء السبب إلى المخوف، وبقدر المخوف: يكون خوفه، ومانقص من شعوره بأحد هذين نقص من خوفه بحسبه.

فمن لم يعتقد أن سبب كذا يفضى إلى محذور كذا: لم يخف من ذلك السبب. ومن اعتقد أنه يفضى إلى مكروه ما، ولم يعرف قدره: لم يخف منه ذلك الخوف. فإذا عرف قدر المخوف، وتيقن إفضاء السبب إليه: حصل له الخوف.

هذا معنى تولده من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة .

وفى مراقبة العاقبة: زيادة استحضار المخوف وجعله نصب عينيه، بحيث لاينساه. فإنه ـ وإذا كان عالمًا به ـ لكن نسيانه وعدم مراقبته يحول بين القلب وبين الخوف. فلذلك كان الخوف علامة صحة الإيمان. وترحُّله من القلب علامة ترحل الإيمان منه. والله أعلم .

قال: «الدرجة الثانية: خوف المكر فى جريان الأنفاس المستغرقة فى اليقظة، المشوبة بالحلاوة» يريد: أن من حصلت له اليقظة بلا غفلة، واستغرقت أنفاسه فيها: استحلى ذلك. فإنه لا أحلى من الحضور فى اليقظة فإنه ينبغى أن يخاف المكر، وأن يُسلَب هذا الحضور، واليقظة والحلاوة: فكم من مغبوط بحاله انعكس عليه الحال. ورجع من حسن المعاملة إلى قبيح الأعمال، فأصبح يُقَلِّب كفيه ويضرب باليمين على الشمال؟ بينما بَدْرُ أحواله مستنيرًا في ليالى التمام. إذ أصابه الكسوف فدخل فى الظلام. فبُدل بالأنس وحشة، وبالحضور غيبة، وبالإقبال إعراضًا، وبالتقريب إبعادًا، وبالجمع تفرقة كما قيل:

أحسنت ظنـك بالأيـام مـــا إذ حسنت

ولـــم تخـــف ســـوء مايأتـــى بـــه القـــدر

وسالمتك الليالـــى. فاغتـــررت بهـــا

وعند صفـــو الليالـــى يحـــــدث الكـــــدر

قال: «الدرجة الثالثة [درجة الخاصة] وليس فى مقام أهل الخصوص وحشة الخوف، إلا هيبة الجلال. وهى أقصى درجة يشار إليها فى غاية الخوف» .

يعنى أن وحشة الخوف إنما تكون مع الانقطاع والإساءة، وأهل الخصوص أهل وصول الله وقرب منه. فليس خوفهم خوف وحشة، كخوف المسيئين المنقطعين. لأن الله عز وجل معهم بصفة الإقبال عليهم، والمحبة لهم. وهذا بخلاف هيبة الجلال. فإنها متعلقة بذاته وصفاته. وكلما كان عبده به أعرف وإليه أقرب. كانت هيبته وإجلاله فى قلبه أعظم. وهى أعلى من درجة الخوف العامة .

قال«وهى هيبة تعارض المكاشف أوقات المناجاة. وتصون المسامر أحيان المسامرة. وتفْصم المعاين بصدمة العزة» .

يعنى أكثر ماتكون «الهيبة» أوقات المناجاة. وهو وقت تملق العبد ربه. وتضرعه بين يديه. واستعطافه ، والثناء عليه بآلائه وأسمائه وأوصافه. أو مناجاته بكلامه هذا هو مراد القوم بالمناجاة .

وهذه المناجاة: توجب كشف الغطاء بين القلب والرب. ورفع الحجاب المانع من مكافحة القلب لأنوار أسمائه وصفاته، وتجليها عليه. فتعارضه «الهيبة» فى خلال هذه الأوقات .

فيفيض من عنان مناجاته بحسب قوة واردها .

وأما صون المسامر أحيان المسامرة: فالمسامرة عندهم: أخص من المناجاة. وهى مخاطبة القلب للرب خطاب المحب لمحبوبه. فإن لم يقارنها هيبة جلاله، أخذت به فى الانبساط والإدلال، فتجئ الهيبة صائنة للمسامر فى مسامرته، عن انخلاعه من أدب العبودية .

وأما فصمها المعاين بصدمة العزة: فإن «الفصم» هو القطع أى تكاد تقتله وتمحقه بصدمة عزة الربوبية بمعانيها الثلاثة. وهى: عزة الامتناع، وعزة القوة والشدة، وعزة السلطان والقهر فإذا صدمت المعاين كادت تفصمه وتمحق أثره. إذ لايقوم لعزة الربوبية شئ. والله أعلم.

القلب فى سيره إلى الله عز وجل بمنزلة الطائر. فالمحبة رأسه. والخوف والرجاء جناحاه. فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران. ومتى قطع الرأس مات الطائر. ومتى فقد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر. ولكن السلف استحبوا أن يقوى فى الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الخوف. هذه طريقة أبى سليمان وغيره .

قال: ينبغى للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف. فإن غلب عليه الرجاء فسد.

وقال غيره: أكمل الأحوال: اعتدال الرجاء والخوف، وغلبة الحب. فالمحبة هى المركب. والرجاء حاد. والخوف سائق. والله الموصل بمنه وكرمه .

*****

الخشوع والخوف والبكاء

عند تلاوة القرآن

يستحب البكاء عند تلاوة القرآن، وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصالحين، قال الله تعالى فى وصف الخاشعين من عباده عند تلاوة كتابه: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدًا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعًا﴾ سورة الإسراء .

ولما ذكر الله تعالى الأنبياء المكرمين وخواص المرسلين، وذكر فضائلهم ومراتبهم أخبر أنهم كانوا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن ﴿خروا سجدا وبكيا﴾ وقال الله تعالى: ﴿الله نَزَّل أحسن الحديث كتابًا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ .

وقد وردت فيه أحاديث كثيرة، وآثار السلف، فمن ذلك ماورد عن النبى ﷺ أنه قال: «اقرؤا القرآن وابكوا، فإن لم تبكوا فتباكوا» . وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اقرأ علـى» قلت: أأقرأ عليك وعليك آنزل؟! قال: «فإنى أحب أن أسمعه من غيرى» فقرأت من سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد، وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾ قال: «حسبك الآن» ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه .

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى وفى صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء، أخرجه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه ابن حبان .

ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قيل له الصلاة، فقال: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» .

قالت عائشة: إن أبا بكر رجل رقيق إذا قرأ غلبه البكاء. قال: «مروه فليصل»

رواه مسلم .

وعن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه صلى بالجماعة الصبح، فقرأ سورة يوسف فبكى حتى سالت دموعه، وفى رواية: أنه كان فى صلاة العشاء، وفى رواية: أنه بكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف .

وقرأ عمر بن عبد العزيز بالناس ذات ليلة: ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ فلما بلغ فأنذرتكم نارًا تلظى خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فرجع حتى إذا بلغها خنقته العبرة فلم يستطع أن ينفذها فقرأ سورة غيرها .

وينبغى أن يكون ذلك حال العلماء فقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عن عبد الأعلى التيمى، أنه قال: إن من أوتى من العلم مالا يبكيه لخليق أن قد أوتى من العلم مال ينفعه، لأن الله تعالى نعت أهل العلم فقال: «ويخرون للأذقان يبكون» وقال ﷺ: «**لايلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن فى الضرع**» الحديث رواه الترمذى وقال ﷺ: «**عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله**» رواه الترمذى .

ويستحب إذا مر بآية رحمة أن يسأل الله من فضله، وإذا مر بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشر أو من العذاب، أو يقول: « اللهم إنى أسألك العافية» أو يقول: «أسألك المعاناة من كل مكروه» أو نحو ذلك .

وإذا مر بآية تنزيه نزه الله تعالى فقال «سبحانه وتعالى» أو «تبارك وتعالى» أو جلت عظمة ربنا، فقد صح عن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: صليت مع النبى ﷺ ذات ليلة فافتتح البقرة، فقلت يركع عند المائة ثم مضى، فقلت يصلى بها فى ركعة فمضى، ثم افتتح آل عمران فقرأها ثم افتتح النساء فقرأها، يقرأ مترسلا إذا مر فيها بتسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع. رواه مسلم .

*****

الحث على التقوى والخوف من الله عز وجل

قال الله تعالى :

﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾ فما من خير عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله سبيل موصل إليه ووسيلة مبلغة له، وما من شر عاجل ولا آجل ظاهر ولا باطن إلا وتقوى الله عز وجل حرز متين وحصن حصين للسلامة منه والنجاة من ضرره.

وكم علق الله العظيم فى كتابه العزيز على التقوى من خيرات عظيمة وسعادات جسيمة من ذلك المعية الخاصة المقتضية للحفظ والعناية والنصر والتأييد.

قال تعالى : ﴿واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين﴾ ومن ذلك المحبة لمن اتقى الله ، قال الله تعالى : ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ ومن ذلك التوفيق للعلم قال تعالى : ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ ومن ذلك نفى الخوف والحزن عن المتقى المصلح قال الله تعالى : ﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون﴾ ومن ذلك الفرقان عند الاشتباه ووقوع الإشكال والكفارة للسيئات والمغفرة للذنوب قال الله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ ومن ذلك النجاة من النار قال الله تعالى : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتمًا مقضيًا ثم ننجى الذين اتقوا..﴾ وقال تعالى : ﴿وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم السوء ولاهم يحزنون﴾ ومن ذلك المخرج من الشدائد والرزق من حيث لايحتسب قال تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب﴾ ومن ذلك اليسر قال الله تعالى : ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرًا﴾ . ومن ذلك عظم الأجر قال تعالى : ﴿ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرًا﴾ ومن ذلك الوعد من الله بالجنة فال تعالى : ﴿جنات عدن التى وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ الآيات إلى قوله ﴿من كان تقيًا﴾ وقال تعالى : ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾

وقال تعالى: ﴿**إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنما يتقبل الله من المتقين**﴾ وقال تعالى: ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ ومن ذلك الكرامة عند الله بالتقوى قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إذا فهمت ذلك فاعلم أن التقوى هى امتثال الأوامر واجتناب النواهى، فالمتقون هم الذين يراهم الله حيث أمرهم ولا يقدمون على ما نهاهم عنه.

المتقون هم الذين يعترفون بالحق قبل أن يشهد عليهم ويعرفونه ويؤدونه، وينكرون الباطل ويجتنبونه ويخافون الرب الجليل ماحرمه ويحلون ما أحله.

ولا يخونون فى أمانة ولا يرضون بالذل والإهانة ولا يعقون ولا يتنطعون، ولا يؤذون جيرانهم، ولا يضربون إخوانهم، يصلون من قطعهم، ويعطون من حرمهم، ويعفون عمن ظلمهم، الخير عندهم مأمول والشر من جانبهم مأمون لا يغتابون ولا يكذبون ولا ينافقون. ولا ينمون ولا يحسدون ولا يراؤن ولا يرابون ولا يقترفون ولا يأمرون بمنكر ولاينهون عن معروف .بل يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، تلك صفات المتقين حقًا الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون.

إخوانى لو تحلى كل منا بالتقوى لحسن عمله، وخلصت نيته، واستقام على الهدى، وابتعد عن المعاصى والردى وكان يوم القيامة من الناجين .

*****

وصف المؤمن المتقى
الخائف من الله(*)

المتقون هم أهل الفضائل منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع غضوا أبصارهم عما حرم عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم فنزلت أنفسهم منهم فى البلاء كما نزلت فى الرخاء ولولا الأجل الذى كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفة عين شوقًا إلى الثواب وخوفًا من العقاب. عظم الخالق فى أنفسهم فصغر مادونه فى أعينهم فهم والجنة كمن قد رآها منهم منعمون وهم والنار كمن قد رآها منهم فيها معذبون قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أيامًا قصيرة أعقبتهم راحة طويلة وتجارة مريحة يسرها لهم ربهم. أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وأسرتهم فضروا بأنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم .

فإذا مروا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعًا وتطلعت نفوسهم إليها شوقًا وظنوا أنها نصب أعينهم وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زئير جهنم وشهيقها فى أصول آذانهم منهم حانون على أوساطهم مفترشون لجباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم يطلبون إلى الله تعالى فى فكاك رقابهم وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء .

قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم؟ لايرضون من أعمالهم القليل ولا يستكثرون الكثير منهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون إذا زكى أحدهم خاف مما يقال فيقول أنا أعلم بنفسى من غيرى وربى أعلم بى من نفسى اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى مالا يعلمون .

فى يقين ، وحرصًا فى علم، وعلمًا فى حلم وقصدًا فى غنى وخشوعًا فى

(*) الموارد ـ عبد العزيز السلمان.

عبادة وتحملاً في فاقه وصبرًا في شدة وطلبًا في حلال ونشاطًا في هدى وتحرجا عن طمع .

يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسى وهمه الشكر ويصبح وهمه الذكر يبيت حذرًا ويصبح فرحاً، حذراً لما ضرر من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره، لم يعطها سؤلها فيما تحب.

قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى، يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل، تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعه نفسه، منذوراً أكله سهلاً أمره، حريذاً دينه، ميته شهوته مكظوماً غيظه، الخير منه مأمول، والشر منه مأمون إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين يعفو عمن ظلمه ويعطى من حرمه ويصل من قطعه، بعيداً فحشه، لينا قوله غائبا منكره، حاضراً معروفه مقبلاً خيره مدبراً شره، في الزلازل وقور وفي المكاره صبور وفي الرخاء شكور.

لا يحيف على من يبغض ولا يأثم فيمن يحب، يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ذكر، ولا ينابذ بالألقاب ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصاب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق.

إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يعْلُ صوته، وإن بُغى عليه صبر حتى يكون الله هو الذى ينتقم له، نفسه منه في عناء والناس منه في راحه، أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه.

بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهه، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمه ليس تباعدُه بكبر وعظمه، ولا دنوه بمكر وخديعه.

عليكم بتقوى الله لا تركنوها … فإن التقى أقوى وأولى وأعدل

لباس التقى خير الملابس كلها … وأبهى لباساً فى الوجود وأجمل

فما أحمد التقوى وأهدى سبيلها … بها ينفع الإنسان ما كان يعمل

فيا أيها الإنسان بادر إلى التقى … وسارع إلى الخيرات مادمت ممهل

وأكثر من التقوى لتحمد غيها … بدار الجزاء دار بها سوف تنزل

وقدم لما تقدم عليه فإنما … غداً سوف تجزى بالذى سوف تفعل

وأحسن ولا تهمل إذا كنت قادراً … فدار بنى الدنيا مكان الترحل

وأد فروض الدين وأتقن أداءها … كوامل فى أوقاتها والتنفل

وسارع إلى الخيرات لا تهملنها … فإنك إن أهملت ما أنت مهمل

ولكن ستجزى بالذى أنت عامل … وعن ما مضى عن كل شىء ستسأل

ولا تلهك الدنيا فربك ضامن … لرزق البرايا ضامن متكفل

ودنياك فاعبرها وأخراك زد لها … عماراً وإيثاراً إذا كنت تعقل

فمن أثر الدنيا جهول ومن يبع … لأخراه بالدنيا أضل وأجهل

ولذاتها والجاه والعز والغنى … بأضدادها عما قليل تبدل

فمن عاش فى الدنيا وإن طال عمره … فلابد عنها راغماً سوف ينقل

وينزل داراً لا أنيس له بها … لكل الورى منهم معاد وموئل

ويبقى رهينا بالتراب بما جنى … إلى بعثه من أرضه حين ينسل

يهال بأهوال يشيب ببعضها … ولا هول إلا بعده الهول أهول

وفى البعث بعد الموت نشر صحائف … وميزان قسط لطائش أو مثقل

وحشر يشيب الطفل منه لهوله … ومنه الجبال الراسيات تزلزل

ونار تلظى فى لظاها سلاسل … يغل بها الفاجر ثم يسلسل

شراب ذوى الإجرام فيها جميعها … وزقومها مطعومهم حين يؤكل

حميم وغساق وآخر مثله … من المهل يغلى فى البطون ويشعل

يزيد هواناً من هواها ولايزل … إلى قعرها يهوى دواماً وينزل

وفى ناره يبقى دواماً معذباً … يصيح مثبوراً ويحه يتولول

عليها صراط مد حصن ومذله … عليه البرايا فى القيامة تحمل

وفيه كلاليب تعلق بالورى … فهذا نجا منها وهذا مخدول

فلا ذنب يفديه ما يفتدى به ... وإن يعتذر يوماً فلا العذر يقبل
فهذا جزاء المجرمين على الردى ... وهذا الذى يوم القيامة يحصل
أعوذ بربى من لظى وعذابها ... ومن حال ما يهوى بها يتجلجل
ومن حال من فى زمهرير معذب ... ومن كان فى الأغلال فيها مكبل
وجنات عدن زخرفت ثم أزلفت ... لقوم على التقوى دواماً تبتل
بها كل ما تهوى النفوس وتشتهى ... وقرة عين ليس عنها ترحل
ملابسهم فيها حرير وسندس ... وإستبرق لا يعتريه التحلل
ومأكولهم من كل ما يشتهونه ... ومن سلسبيل شربهم يتسلسل
وأزواجهم حور حسان كواعب ... على مثل شكل الشمس بل هو أشكل
يطاف عليهم بالذى يشتهونه ... إذا أكلوا نوعاً بآخر بدلوا
فواكهها تدنوا إلى من يريدها ... وسكانها مهما تمنوه يحصل
وأنهارها الألبان تجرى وأعسل ... تناولها عند الإراده يسهل
بها كل أنواع الفواكه كلها ... وخمر وماء سلسبيل معسل
يقال لهم طبتم سلمتم من الأذى ... سلام عليكم بالسلامه فأدخلوا
بأسباب تقوى الله والعمل الذى ... يحب إلى جنات عدن توصلوا
إذا كان هذا والذى قبله الجزاء ... فحق على العينين بالدمع تهمل
وحق على من كان بالله مؤمناً ... يقدم له خيراً ولا يتعلل
وأن يأخذ الإنسان زاداً من التقى ... ولا يسأم التقوى ولا يتململ
وإن أمام الناس حشر وموقف ... ويوم طويل ألف عام وأطول
فيا لك من يوم على كل مبطل ... فظيع وأهوال القيامة تعضل
تكون به الأطواد كالعهن أو تكن ... كثيبًا مهيلاً أهيلاً يتهلهل
به ملة الإسلام تقبل وحدها ... ولا غيرها من أى دين فيبطل
به يسألون الناس ماذا عبد تموا ... وماذا أجبتم من دعاوهم مرسل
حساب الذى ينقاد عرض مخفف ... ومن ليس منقاداً حساب مثقل
ومن قبل ذاك الموت يأتيك بغتة ... وهيهات لا تدرى متى الموت ينزل
كؤوس المنايا سوف يشربها الورى ... على الرغم شبان وشيب وأكهل
حنانيك بادرها بخير فإنما ... على الآلة الحدبا سريعاً ستحمل

إذا كنت قد أيقنت بالموت والفنا ... وبالبعث عما بعده كيف تغفل

أيصلح إيمان المعاد لمنصف ... وينسى مقام الحشر من كان يعقل

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ابن لى ابن يوم الجزا كيف تفعل

أترضى بأن تأتى القيامة مفلسًا ... على ظهرك الأوزار بالحشر تحمل؟

وإياك والدنيا الدنية إنها ... هى السحر هى تخييله وافترائه

متاع غرور لا يدوم سرورها ... وأضغاث حلم خادع بهبائه

فمن أكرمت يوماً أهانت له غدًا ... ومن أضحكت قد أذنت ببكائه

ومن تسقه كأساً من الشهد غدوه ... تجرعه كأس الردى فى مسائه

ومن تكس تاج الملك تنزعه عاجلاً ... بأيدى المنايا أو بأيدى عدائه

ألا إنها للمرء من أكبر العدا ... ويحسبها المغرور من أصدقائه

فلذاتها مسمومة ووعودها ... سراب فما الظامى روى من عنائه

وكم فى كتاب الله من ذكر ذمها ... وكم ذمها الأخيار من أصفيائه

فدونك آيات الكتاب تجد بها ... من العلم ما يجلو الصدا بجلائه

ومن بك جمع المال مبلغ علمه ... فما قلبه إلا مريضاً بدائه

فدعها فإن الزهد فيها محتم ... وإن لم يقم جل الورى بأدائه

ومن لم يذرها زاهداً فى حياته ... ستذهد فيه الناس بعد فنائه

فتتركه يوماً صريعًا بقبره ... رهيناً أسيراً آيساً من ورائه

وينساه أهلوه المفدى لديهم ... وتكسوه ثوب الرخيص بعد غلائه

وينتهب الوراث أمواله التى ... على جمعها قاسى عظيم شقائه

وتسكنه بعد الشواهق حفرة ... تضيق به بعد اتساع فضائه

يقيم بها طول الزمان وماله ... أنيس سوى دود سعى فى حشائه

فواها لها من غربة ثم كربة ... ومن تربة تحوى الفتى لبلائه

ومن بعد ذا يوم الحساب وهوله ... فيجزى به الإنسان أوفى جزائه

ولا تنس ذكر الموت فالموت غائب ... ولابد يوماً للفتى من لقائه

قضى الله مولانا على الخلق بالفنا ... ولابد فيهم من نفوذ قضائه

فخذ أهبة للموت من عمل التقى ... لتغنم وقت العمر قبل انقضائه

وإياك والأموال فالعمر ينقضى ... وأسبابها ممدودة من ورائه

وحافظ على دين الهدى فلعله ... يكون ختام العمر عند انتهائه

أما تستحى ممن أوجدك وصورك! كأنى بك والله وقد نسيك الحبيب وأفردك، وإلى ضيق قبرك وأوردك، وعادت قلوب وحزنت عليك ساليه ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافيه**﴾.

وحكى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه شيع جنازة فلما اصطف الناس تأخر عنها فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين جنازه أنت وليها تأخرت عنها وتركتها؟ فقال: إنى ما تأخرت عنهـــا، إلا لأن القبر نادانى من خلفى، يا عمر ياابن عبد العزيز، ألا تسألنى ما صنعت بالأحبة؟

فقلت له وما صنعت بهم؟ فقال فرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصصت الدم وأكلت اللحم. !

ألا تسألنى ماصنعت بالأوصال؟فقلت له وما صنعت بها؟فقال: فرقت الكتفين

واحسرتى واشقوتى من يوم نشر كتابيه واطول حزنى إن أكن أوتيه بشماليه

وإذا سألت عن الخطا ماذا يكون جوابيه واحر قلبى أن يكون مع القلوب القاسية

كلا ولا قد مت لى عملاً ليوم حسابيه بل أننى لشقاوتى وقساوتى وعذابيه

بارزت بالزلات فى أيام دهر خاليه من ليس يخفى عنه من قبح المعاصى خافيه

أستغفر الله العظيم وتبت من أفعاليه فعسى الإله يجود لى بالعفو ثم العافية

هيهات هيهات
أيها الخائف من الله

يا من توالى فى المعاصى ارجع فالذى دعاك مجيب.

إخوانى كأنكم بقاطع المال قد هجم، ونقلتم إلى بيت الديدان والظلم، وفرق من شمل الأحباب ما إنتظم، وقد ندم المفرط حيث لا ينفعه الندم، على ذهاب الأعمار فى الأيام الخالية ﴿**يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية**﴾ ويحك أما تحذر من بوعيده حذرك!

من الذراعين والركبتين من الساقين والساقين من القدمين، ثم بكى عمر، وقال:

إن الدنيا بقاؤها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشبابها يهرم وحيها يموت.

فلا يغرنكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها أين قراء القرآن؟ أين حجاج بيت الله الحرام؟ أين صوام شهر رمضان؟

ما صنع التراب بأبدانهم والديدان بأجسادهم والبلى بعظامهم وأوصالهم كانوا والله فى الدنيا على أسرَّة ممهدة وفرش منضدة فارقوا الأهل والوطن وصاروا بعد السعه فى المضايق وتزوجت نساؤهم وترددت فى الطرقات أبناؤهم وتوزعت القربات ديارهم وتراثهم فمنهم والله الموسع له فى قبره ومنهم والله المضيق عليه فى لحده هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله ويا مكفن الميت وحامله ويا محله فى القبر وراجع عنه ليت شعرى بأى خديه يبدأ البلى؟ ثم بكى حتى غشى عليه وما بقى إلا جمعة ومات رحمة الله عليه:

ضعوا خدى على لحد ضعوه	ومن عفر التراب فوسدوه
وشقوا عنه أكفاناً رقاقًا	وفى الرمس البعيد فغيبوه
فلو أبصرتموه إذا تقضت	صبيحة ثالث أنكرتموه
وقد سالت نواظر مقلتيه	على وجناته وانفض فوه
وقد نادى البلى هذا فلان	هلموا فانظروا هل تعرفوه؟

أخى دنا والله من زرعك الحصاد فإلى متى هذا التمادى والرقاد وبين يديك أهوال يوم المعاد؟ يوم يفر الوالد من الأولاد واحزناه عليك إذا تبدد شمل أعمالك من الأرباح فأصبح هشيماً تذروه الرياح قال أقلع عن أفعالك القباح وألق نفسك إلى ساحل الندم تجد مولاك أهل الكرم والسماح.

(إخوانى) كم تحملون أحمال الأوزار وهى ثقال وكم تبارزون بالمعاصى ذا الجلال؟. وكم تعللون بالتسويف والآمال.

وكم تتبعون الشهوات وهى خيال. وكم تطمعون فى البقاء وقد دنا الانتقال

وكم قيدتكم الأماني من التواني بالأغلال. وكم أنذركم من رحل من الأحباب بالارتحال؟ أين من حصن الحصون وشيدها؟

أين من جمع الأموال وعددها؟

أين من عمر الحدائق وغرسها؟

أين من قاد الجيوش وساسها؟

أزعجه والله هازم اللذات من غير اختياره وأخرجه كرها من أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره وقطعه عن آماله وأوطاره، وحال بينه وبين أعوانه وأنصاره فياله من وقت لا ينتفع فيه الحبائب ولا يغنى فيه النائح والنادب قضى الأمر فما ينفع العتاب للمعاتب يا مغتر بالآمال رب أمل خائب كم ينام المطلوب ولا ينام عنه الطالب ستدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب.

ويبدو لكل مسوف أمله الكاذب فاغتنموا رحمكم الله أيام أعماركم الفانية فسيندم والله أهل القلوب القاسية إذا فاز المتقون وخسر هنالك المبطلون.

﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون﴾ الإنذار وهو التخويف ويوم الحسرة هو يوم القيامة أى يوم يتحسر المسئ إذا لم يحسن والمقصر فى الخيرات إذ لم يتزود ومعنى قضى الأمر: أى فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وهم فى غفلة. هذا خطاب فى الدنيا وهم لا يؤمنون خطاب فى الآخرة أى لم يردوا فيؤمنوا.

- روى عدى بن حاتم رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «يؤتى يوم القيامة بناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها نودوا أن أصرفوهم عنها فلا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها.

فيقولون: ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا، قال ذلك أردت بكم، كنتم إذا خليتم بارزتمونى بالمعاصى.

وإذا لقيتم الناس لقيتمونى مخبتين تراءون الناس بخلاف ما تعطونى من

قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى وأجللتم الناس ولم تجلونى فاليوم أذيقكم أليم عذابى مع ما حرمتكم من ثواب الآخرة». (ضعيف)

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: كأنى بكم صادرين عن الحوض يلقى الرجل الرجل فيقول: أشربت؟ فيقول: نعم، ويلقى الرجل الرجل فيقول: واعطشاه.

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: إن ملكًا موكل بالميزان فإذا أثقل ميزان إنسان نادى الملك بصوت لا يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبداً وإن خفت موازينه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقى فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبداً.

فقال قتادة رضى الله عنه: لم يجرم أحد فيخفى جرمه على أحد يوم القيامة.

(إخوانى) أهل القبور قد أسروا، وأكثر القوم فى تجارتهم خسروا، فمروا أنتم عليهم واعتبروا وتفكروا فى أحوالهم وانتظروا، يتمنون العود وهيهات ويسألون التدارك وقد فات. يا مطلعًا أذكر قيودهم يا متحركًا قد عرفت همودهم، خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب فإنك مطلوب، وتذكر بقلبك يوماً تتقلب فيه القلوب قبل أن يمسك اللسان ويتحير الإنسان ويزول العرفان وتنشر الأكفان وتزول الخضرة وتطول السفرة.

ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويلقى العبد ما أسلفه، وينساه من خلفه، ويبقى هناك أسيراً إلى أن يعود، فيقوم عريانا حسيراً فحينئذ تسلب الكرائم وتنشر الجرائم وتعظم المصائب وتنسد المذاهب وتبين العجائب وتسود الوجوه ويفوت العاصى ما يرجوه وتثقل على الظهور الأوزار ويؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار وليس لأحد هناك قرار إلا الجنة أو النار.

فبادروا رحمكم الله بالمتاب قبل ما تعاينوا هذه الأهوال وتشهدون وتنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون.

قال مسمع بن عاصم رحمه الله: بت أنا وعبد العزيز بن سليمان وكلاب بن حرب وسلمان بن الأعرج على بعض السواحل فبكى كلاب حتى خشيت أن يموت ثم بكى عبد العزيز لبكائه ثم بكى سلمان لبكائه وبكيت أنا والله لبكائهم لا أدرى

ما أبكاهم فلما كان بعد ذلك سألت عبد العزيز ما أبكاك فقال: إنى والله نظرت إلى أمواج البحر فذكرت أطباق جهنم وزفراتها فذاك الذى أبكانى، ثم سألت كلابا فقال. مثل ذلك، ثم سألت سلمان فقال: ما كان فى القوم شر حتى ما كان بكائى إلا لبكائهم رحمة لهم مما كانوا يصنعون بأنفسهم.

قف بنا يا صاح نبكـى الندما	بعد من قـد كـان فيهـا سكنا
وتنادى مـن غـرام مقلـق	بعدهم فـى دارهـم واحـزنا
طالما كـن بهـا فـى دعه	نجتنى مـن وصلهم مـا يجتنا
كم بلغـنا بين أكناف الحمى	من لبنات المنـى مـا سرنا
وافترقـنا فكأنـا لـم نكن	أبدا فى الـدار نولـى الحسنا
ليت روحى قبل أن فارقتهم فارقت	مـن قبـل ذاك البـدنا
يا أصحابى انتهوا وانتهزوا	فرصة الأوقـات فالمـوت دنا

(إخوانى) كأنى بكم وقد بلغتم يومكم الموعود، وغائصكم مالم تفتدوا منه بوالد ولا مولود، مقام تشهد عليكم فيه الألسنة والجوارح والجلود ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر**﴾.

قال الجنيد رحمة الله عليه: دخلت على سرى السقطى عند الموت وكان ممن أحرق قلبه الخوف فقلت له كيف تجدك؟ فقال:

كيف أشكو إلى طبيبى ما بـى	والذى بى أصابنى مـن طبيبى

فأخذت المروح لأروح عليه فقال كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق ثم أنشد:

القلب محترق والدمع مستبق	والقلب مجتمع والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له	مما جناه الأسى والشوق والقلق

ثم ذكر الله ومات رحمه الله.

(إخوانى) ما الذى أعددتم من حلاوة الطاعة لتجرع مرارة الموت؟ وما الذى

قدمتموه من زاد التقوى قبل حلول الفوت؟ كم ينادى الغافلين مناد المواعظ فلا يستجيبون؟ ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾ .

قال إبراهيم التيمى رحمه الله : مثلت نفسى فى الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها ثم مثلت نفسى فى النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها ثم قلت لنفسى : ما تريدين : قالت : أرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا قلت : فأنت فى الأمنيه فاعملى .

يا نفس قد طاب فى إمهالك العمل ... فاستدركى قبل أن يدنو لك الأجل

إلى متى أنت فى لهو وفى لعب ... يغرك الخادعان الحرص والآمل

وأنت فى ستر لهو ليس يدفعه ... عن قلبك الناصحان العتب والعذل

تذود لطريق أنت سالكه ... فيها فعما قليل يأتك المثل

ولا تغرك أيام الشباب ففى ... أعقابها الموبقات الشيب والأجل

يا نفس توبى من العصيان واجتهدى ... ولا يغرنك الإبعاد والملل

ثم احذرى موقفا صعبًا لشدته ... يغشى الورى المتلفان الحزن والوجل

ويختم الفم والأعضاء ناطقة ... ويظهر المفصحان الخط والخطل

ويحكم الله بين الناس معدله ... فتذكر الحالتان البر والزلل

(إخوانى) تداركوا ما فرطتم فى أيام البطالة فسيلقى كل عامل منكم أعماله يوم يستقبل فلا يجاب إلى الإقاله ويعض أنامله بالندم على الضلاله فيالها من حسرة ما أهولها ورقدة فى التراب ما أطولها بالله عليكم نوحوا على أيام الغافلات بالله عليكم تفكروا فى مصارع الأموات بالله عليكم بادروا باب الحبيب قبل الفوات فكأنى بكم وقد غاءصكم المنون ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾ .

(إخوانى) فكوا أنفسكم من أسر الشهوات، وأيقظوا عقولكم من سكره الغفلات، واستعدوا لدار البقاء قبل الفوات، فكأنى بكم وقد وافاكم حادى المنون ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾ هيهات بعد

فوات الأعمار لا تنفع الحسرة، وعند انقطاع الآمال لا تفيد الفكرة، ليت شعرى ما جوابكم يوم الحسـرة إذ نودى هذا يوم لا ينطقون ﴿**وأنذرهم يوم الحسـرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون**﴾.

قال محمد بن السماك الواعظ رحـمه الله: وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصًا بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال من أنت فقلت محمد بن السماك قال الواعظ قلت نعم فألـقى الخوص من يده وقال: يا ابن السـماك إن الواعظ من المسـتمع بمنزلة الطبيب من الـعليل فأعرض علىَّ شـيئاً من وعظك فـقلت يا شيخ أمـا تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى؟ ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربه وأنكال؟فأولها ظلمـة القبر، ثم ظلمة النشر، ثم ظلمة الحشـر، ثم ظلمه الصراط، ثم وزن الأعمال، ثم قطع الآمال، ثم سطوة الملك المتعال فبكى بكاء شديدا.

وقال لى: يا ابن السماك وما بعد ذلك؟

قلت: حـــمل الأوزار، والـورود على النار، وأعـظم من ذلك توبيـخ الملك الجبار. فصاح صيـحة عظيمة ثم سقط ميتاً فى قبره فـخرجت إليه عجوز وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول هاتان العينـان طالما سهرتا فى طاعة الله وطالما بكتا من خشية الله.

وقال عبد الله بن واسان رحمه الله تعالى عليه:

عبرت يومًا فى أزقة البصرة فوجدت صبياً يبكى وينتحب. فقلت له: يا ولدى ما الذى يبكيك؟ فقال: خوفاً من النار فـقلت: يا ولدى أنت صغير حسن وتخاف من النار؟ فقال: يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار فقلت: لها يا أماه لم تقدمين الصـغار قبل الكبار؟ فقالت: يا ولدى ما تشتـعل الكبار إلا بالصغـار. فقلت له: يا ولدى هل لك فى صحـبتى فتتـعلم ما ينفعك؟ فقـال: على شرط إن قبلت فإنى أصحبك وأتبـعك قلت: وما هو؟ قال: إن جعت تطـعمنى وإن عطشت تسـقينى، وإن زللت تغـفر لى وإن مت تحـيينى؟ فقلت له: يا ولدى لا أقدر على ذلك كله. فـقال: يا عم فإنى على باب من يقدر على ذلك كله.

منك أرجــــو ولست أعــــرف رباً ... أرتجى منه بعــض مــا منك أرجــو
وإذا اشــتدت الشــدائد فـــى الأر ... ض على الخـلق فاستغاثوا وضجوا
وإبتليت العــبـاد بالخـــوف والجــو ... ع فـصروا علـــى الذنوب ولجـوا
لم يكن لـــــى ســواك ربى مـلاذا ... وتيـقـنـت أننى بـــك أنجـــــو

قيل: كان بالبصره شــاب يقول له: رضوان كثير اللهو والعصيــان والتيه والطغيان يبيت الليالى بالخمـر سكران قد غلبت عليه شقوته وأغواه الشـيطان فبينما هو فى بعض الأيام معـتكف على شرب الملام ومـعه جمـاعة من أصحـابه الموافقين على الذنوب والآثام إذ سمع رجلاً فقيرًا ينشد فى الطريق:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعـــــة ... ولا أن ما يخفى علـيه يغيب

فبكى الشاب وقال: بالله عليك يا فقير إلا مـا أعدت إلىّ قولك فأعاده فأقسم عليه الشاب أن يحضر مجلسهم فحضر فقال له: والله يا سيدى لقد سعدنا برؤياك وأعجبنا صوتك وحسن غناك فغن لنا وطيب عيشنا فأنشد الفقير وقال:

تعصى الإلـه وأنت تأكل رزقـه ... ويراك إذا ما خلقه تتكتـــــم
فاحذر فما حاولت أمرًا منكراً ... إلا وينظـره لديك ويعلـــــم

فبكى الشاب وخر مغـشياً عليه فلما أفاق من غشيته كـسر أوانى الخمر وأقبل على الفقير وقال: يا سيدى هل من توبه؟ فأنشد:

هذا زمان الصلح ما أقعــدك ... عن باب من للخير قد عـودك
فإن محوت اليوم ما سطرت ... أيدى خطاياك مما أسعـــــدك

هل يؤاخذنى بما مضى؟ فأنشد وقال:

لله مــــا أطيـب صـــفـــو الوداد ... ومـا ألذ القـرب بـعـد البـعـاد
ومـا أشـد الهجـر من بعـد مـا ... قـد كنت من جـملة أهل الوداد
يا ناســيًا لـلعـهـــد عـامـلتنا ... ثم تـعلـلـت بـطيب الـرقـــــاد
بمن تـشــــــاغـلت وأيـن الذى ... حـصلت كـلا بل حـرمت المراد
شـــمر من اليــوم ودع ما مـضى ... وكن فـقـيـرًا مـامـضى لا يعـاد

فبكى الشاب وبكى أصحابه ثم تابوا وخلعوا ما كان عليهم من لباس الزينة وتاب الشاب إلى ربه، وندم على قبيح ذنبه، وبات ليلته بحضره الفقير فى بكاء ونحيب وحسرات وزفرات فلما كان وقت السحر ذكر ذنوبه والسيئات فصرخ وأسبل العبرات ثم غشى عليه فحركه الفقير فإذا قد مات.

أجل ذنوبى عند عفوك سيدى	حقير وإن كانت ذنوبى عظائما
فمازلت غفارا ومازلت راحماً	ومازلت ستارا على الجرائما
لئن كنت قد تابعت جهلى فى الهوى	وقضيت أوطار البطالة هائما
منها أنا قد أقررت يا رب بالذى	جنيت وقد أصبحت حيران نادما
فتب واعف عنى يا إلهى تكرما	وكن لى يا رب البريه راحما

(إخوانى) إلى كم تضيعون السنن والفرائض وإلى متى تتيممون بالتراب والماء فائض؟ يا كسلان فى الطاعة وهو فى المعصية ناهض تالله من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ.

لا ينفع الوعظ قلباً قاسيًا أبداً	ولا يلين لوعظ الواعظ الحجر
ولا أرى أثراً للذكر فى جسدى	والحبل فى الحجر القاسى له أثر

وروى أن سفيان الثورى رحمه الله كان يعظ الناس ويشوقهم إلى الله تعالى ويرغبهم فى ثوابه ويحذرهم من عقابه وكان الناس يختلفون إليه فصعد يوما منبره على عادته فلما استقر به الجلوس وأراد أن يتكلم فسأله أصحابه ومن يغير عليه أن يخبرهم بما فى الرقعة فقرأها عليهم فإذا فيها مكتوب.

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا	كيما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا	أبداً وأنت من الرشاد عديم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها	فإذا انتهيت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ونهتدى	بالوعظ منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتى مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم

فلما قرأ ذلك بكى بكاء شديدا حتى أغمى عليه فلما أفاق قالوا له يا سيدى

إن كلامك موزون وعرضك مصون تشفى القلوب بوعظك وتسلى المحزون فكيف يؤثر فى قلبك هذا الكلام وأنت إمام فبكى وقال:

أنا ما أصلح أن أتكلم على رؤوس الناس فأنا أعرف بنفسى من غيرى ثم فاضت عيناه واشتغل بوجوه وجواه وما عاد أحد بعد ذلك اليوم يسمع كلامه ولا يراه حتى مات رحمه الله.

تذكروا القيامة فالأمر شديد وبادروا بقية أعماركم فالندم بعد الموت لا يفيد، وأحضروا قلوبكم لفهم الوعد والوعيد، وحاسبوا نفوسكم قبل أن تحاسبوا فعليكم رقيب عتيد، وتأهبوا للموت فكأنكم به وقد أخذ الأحرار والعبيد ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ أين أحبابكم الذين سلفوا أين أترابكم الذين رحلو وانصرفوا أين أرباب الأموال وما خلفوا؟ ندموا على التفريط فياليتهم عرفوا هول مقام يشيب فيه الوليد.

﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ فانتبه يا هذا فالدنيا أضغاث أحلام وأعلم أنها دار لا تصلح للمقام ستفهم قولى بعد قليل من الأيام وما غاب عنك ستراه على التمام إذا انكشف الغطاء وتحقق الوعيد.

﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ ويحك أما علمت أنك ترحل كل يوم مرحلة أما علمت أنه يحصى عليك من أعمالك الخردلة وكم من مؤمل خانه فى الحساب ما أمله ولم يبلغ من المقاصد ما يريد؟ ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾ يا مضيعًا عمره فى الخسران، يامطفئًا بهواه نور الإيمان متى تفيق من خمار الهوى؟ أيها السكران أما آن لك الرجوع إلى الله أما آن؟!!! كأنك قد أخذت بالأمان منه التقليد.

﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾.

بتَّ معرضاً عن المولى إلى متى هذا الإعراض؟ ذهب شبابك وولى فى طلب الإعراض أما علمت ويحك إن عمرك فى انقراض وقواك كل ساعة فى إنتقاض فتزود لسفرك فالسفر والله بعيد.

﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد**﴾

أما علمت أن الموت لك بالمرصاد أما صاد غيرك ولك سيصطاد أما بلغك ما فعل بسائر القصاد أما حذرك غفلتك عنه فى كل موطن وواد أما سمعت قول الملك المجيد.

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾؟.

يا مقبلا على ما يضره، ومعرضا عما يفيد، ومضيعاً عمره وهو يحصى عليه برقيب وعتيد أين المتحصنون بكل حصن منيع وقصر مشيد؟ أين المتكبرون من كل جبار عنيد؟ أما أخرجهم الموت من قصورهم وقطع حبل أملهم المديد أما أصبح ومنهم ذو الشدو والبأس فى ظلمه القبر وحيد أما سمعوا قول الملك المجيد. **﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾**؟.

*****

وا أسفى على ما فرطت
فى جنب الله !!!

قال بعض الصالحين :ـ كنا فى مجلس بعض الوعاظ فوعظ حتى أبكى من حضر . وكان فى المنزل شاب، فذكر الواعظ النار وما أعد الله تعالى فيها من العذاب الأليم لمن عصاه فصاح الشاب: وا أسفى على ما فرطت فى جنب الله ضيعت عمرى ونسيت أملى وقصرت فى عملى ثم استقبل القبلة وقال: اللهم إنى أستقبلك فى يومى هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك فاقبلنى على ما كان منى وأقل عثرتى وارحم غربتى إلهى إليك رجعت بجميع جوارحى صادقا من قلبى فالويل لى إن لم تقبلنى ثم سقط مغشيا عليه فحركناه فإذا هو ميت رحمه الله تعالى .

يا دنيا إليك عنى!!!

وقال معاوية بن أبى سفيان لضرار بن ضمرة: صف لى عليا. فقال: أو تعفينى؟ قال: بل صفه. قال: أو تعفينى؟ قال: لا أعفيك. . ، قال: أما إذًا فإنه والله كان بعيد المدى، شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه، وينطق بالحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته. كان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما يشب، كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمه فإذا ابتسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المسالكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله. . . وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وقد مثل فى محرابه قابضا على لحيته تململ نتململ السليم ويبكى بكاء الحزين وكأنى أسمعه وهو يقول: يا دنيا يا دنيا أبى تعرضت أم لى تشوقت؟ هيهات هيهات غرى غيرى قد باينتك ثلاثا لارجعة لى فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبيره آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

قال: فذرفت دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرت على لحيته فما يملكها وهو يمسحها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك. . .، ثم قال: كيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها فى حجرها فلا ترقأ عبرتها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج.

لا تخافى لا تحزنى

قال بعضهم: كنت جالسا عند الحسن البصرى رضى الله عنه فمر بنا قوم يجرون قتيلا فلما رأه الحسن وقع مغشيا عليه فلما أفاق من غشيته سألته عن أمره فقال: إن هذا الرجل كان من أفضل العباد وكبار السادات الزهاد فقلت له يا أبا سعيد أخبرنا بخبره وأطلعنا على أمره، قال: إن هذا الشيخ خرج من بيته يريد المسجد ليصلى فيه فرأى فى طريقه جارية نصرانية فافتتن بها فامتنعت عنه فقالت له: لا أتزوجك حتى تدخل فى دينى. . فلما طالت المدة وزاد به الأمر جذبته شقوته فأجاب إلى ذلك وبرىء من دين الحنيفية فلما صار نصرانيا وكان منه ما كان خرجت المرأة من خلف الستر وقالت: يا هذا لا خير فيك خرجت من دينك الذى صحبته عمرك من أجل شهوة لا قدر لها لكن أنا أترك دين النصرانية طلبا لنعيم لا يفنى عنى طول الأبد فى جوار الواحد الصمد ثم قرأت ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۞ اللَّهُ الصَّمَدُ ۞ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۞ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ فتعجب الناس من أمرها وقالوا لها: كنت تحفظين هذه السورة قبل هذا؟! قالت لا. والله - ما عرفتها قط ولكن هذا الرجل لما ألح علىَّ رأيت فى النوم كأنى دخلت النار فعرض على مكانى منها فارتعبت وخفت خوفا شديدا فقال لى مالك. لا تخافى ولا تحزنى فقد فداك الله بهذا الرجل منها ثم أخذ بيدى وأدخلنى الجنة فوجدت فيها سطرًا مكتوبا فقرأته فوجدت فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) ثم أقرأنى سورة الإخلاص فأقبلت أرددها ثم انتبهت وأنا أحفظها. قال الحسن: فأسلمت المرأة وقتل الشيخ على ردته نسأل الله الثبات والعافية.

أما فيكم من بكى لمضجعى فى التراب؟!!

كان بالبصرة عابد قد أجهده الخوف والوله، وأسقمه البكاء وأنحله، فلما حضرته الوفاة جلس أهله يبكون حوله، فقال لهم: أجلسونى، فأجلسوه، فأقبل عليهم وقال لأبيه، يا أبت ما الذى أبكاك؟! قال: يا بنى ذكرت فقدك وانفرادى بعدك، فالتفت إلى أمه وقال: يا أماه ما الذى أبكاك؟! قالت: لتجرعى مرارة ثكلك، فالتفت إلى الزوجة وقال: ما الذى أبكاك؟! قالت: لفقد برك وحاجتى لغيرك، فالتفت إلى أولاده وقال: ما الذى أبكاكم؟! قالوا لذُل اليتم والهوان بعدك.

فعند ذلك نظر إليهم وبكى!.. فقالوا له: ما يبكيك أنت؟ قال: أبكى لأنى رأيت كلا منكم يبكى لنفسه لا لى، أما فيكم من بكى لطول سفرى؟ أما فيكم من بكى لقلة زادى؟ أما فيكم من بكى لمضجعى فى التراب؟ أما فيكم من بكى لما ألقاه من سوء الحساب؟ أما فيكم من بكى لموقفى بين يدى رب الأرباب؟ ثم سقط على وجهه فحركوه فإذا هو ميت.

هكذا صفة الخائفين من الله !!

قال منصور بن عمار: خرجت ذات ليلة فظننت أنى قد أصبحت فإذا علىَّ ليل، فقعدت عند باب صغير فإذا بصوت شاب يبكى ويقول: وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك، وقد عصيتك حين عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولا لعقوبتك متعرض، ولا بنظرك مستخف، ولكن سولت لى نفسى، وغلبتنى شقوتى، وغرنى سترك المرخى علىَّ، عصيتك بجهلى، وخالفتك بجهدى، فالآن من عذابك من ينقذنى؟ وبحبل من أتصل إن قطعت حبلك عنى؟ واسوأتاه على ما مضى من أيامى فى معصية ربى؛ يا ويلى كم أتوب وكم أعود، قد حان لى أن أستحى من ربى عز وجل.

قال منصور: فلما سمعت كلامه قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿يا أَيُّها الَّذين آمنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وأَهْليكُمْ ناراً وَقُودُها النَّاسُ وَالْحجارَةُ عَلَيْها

ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ﴾ .

فسمعت صوتاً واضطرابًا شديداً، فمضيت لحاجتي . . ، فلما أصبحت رجعت وأنا بجنازة على البـاب، وعجوز تذهب وتجئ. فـقلت لها: من الميت؟ فـقالت: إليك عنى لا تجدد عليَّ أحـزانى. فقلت: إنى رجل غريب. فـقالت: هذا ولدى وقد مر بنا البارحة رجل ـ لا جزاه الله خيراً.

فقرأ آية فيها ذكر النار؛ فلم يزل ولدى يضطرب ويبكى حتى مات . .

قال منصور هكذا والله صفة الخائفين.

أين منزلى ؟

عن أبى عياش القطان قال: بلغنا أنه كـان ملك كثير المال، وكانت له ابنة لم يكن له ولد غيرها، وكان يحبها حبـاً شديداً، وكان يلهيها بصنوف اللهو، فمكث ذلك زماناً، وكان إلى جـانب الملك عابد، فبينما هـو يقرأ ذات ليلة إذ رفع صوته وهو يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ﴾ فسمعت الجـارية قراءته فقالت لجواريها: كـفوا فلم يكفوا. وجعل العابد يردد الآية والجارية تقول لهم: كفوا فلم يكفوا.

فوضعت يدها فى جيبـها فشقت ثيابها، فانطلقوا إلى أبيها فـأخبروه بالقصة، فأقبل: إليـها فقال: يا حـبيبتى: ما حـالك منذ الليلة؟ ما يبكيك؟ وضمـها إليه، فقـالت: أسألك بالله يا أبت لله عز وجل دار فـيها نار وقودها الناس والحـجارة؟ قال: نعم، قـالت: وما يمنعك يا أبت: أن تخبرنى؟ والله لا أكلت طيـباً ولا نمت على لين حتى أعلم أين منزلى فى الجنة أو فى النار؟!

*****

قطعت العمر سهوا وغفلة

تذكرت أيامى وما كـان من الصبا — من الذنب والعصيـان والجهل والجفا
وكيف قطعت العمـر سهوا وغفلة — فـأسكبت دمعى حسـرة وتلهفـا
وناديت من لا يعلم السر غـيـره — ومن وعد الغفران من كان قد جفا
وعــاد إليـــه من كـبـــار ذنوبه — فـجـاد عليـه بالجمـــيل تعطفـاً
اغـثنى إلـــهى واعف عنى فـإننى — أبيت كـئـيـبًـا حـزيـنا مـتلهـفـا
وخذ بيدى من ظلمـة الذنب سيدى

ستعلق الصحائف فى النحور

(إخوانى) زَرْعُ أعمـالكم قد دنا للحـصاد وزاد أيامكم قد أذن بـالنفاد ويوم غفلتكم قد أطال الرقاد فستندمون يوم يفر الوالد من الأولاد وتختلف الأمور ونفخ فى الصور أين مـا أعددتموه ليوم لا تجـزى فيه نفس عن نفس شـيئًا وسـتذهل إذا خشعت الأصـوات فلا تسمع إلا الهمس وتعلق الصحـائف فى النحور ونفخ فى الصور.

قال الفضيل بن عياض ـ رضى الله عنه ـ فى قول الله تعالى:

﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى﴾ قال: تلقى الوالدة ولدها يوم القـيامة فـتقول: يا بنى ألم تكن بطنـى لك وعاء؟، وألم يكن ثديى لك سقاء؟ فيـقول: بلى يا أماه فتقول: قد أثقلتنى ذنوبى فـتحمل عنى منها ذنباً واحداً فيقول: إليك عنى فأنا مشغول بنفسى عنك وعن غيرك.

أنا مشغـول بذنبى عن ذنوب العالمينا — وخطايا أثقلتـنى تركت قلبى حـزيناً
وقد كنت جليلاً فى عـيون الناظرينا — صرت فى ظلمة قبـرى ثاويا فيها رهينا
بعد عز وسرور فـوق وصف الواصفينا — يأتى الموت علـينا بعـد هذا فــفنينا
وعلمنا فـفـهمنا مـا لنا الآن نسـينا — إن حيـا ليس يبقى غيـر رب العالمينا
والذى صح لـدينا وعلمنـاه يقـــينا — كل حى سوف يفنى غيـر محى الميتينا

عبدى

قفْ على بابى أكتبك من أحبابى

(إخوانى) قلوبنا بالغفلة رحلت عن الأجسام. إخوانى إلى متى أتحدث وليس فى الحى إلا الخيام؟ إخوانى أمـا تنظرون إلى ما فعلت بنا الزلات والآثام؟ إخوانى قيدنا التقـصير وقددنًا الحمام فـأواه علينا من هول يوم النشور ونفخ فى الصور؟! بالله يا إخوانى إلى متى تؤخـرون المتاب هذا المشيب أتى وقد تولى الشـباب؟!متى تصالح مـولاك متى تقف بالباب؟! أمـا اعتبرت بالراحلين من الأحـباب والأتراب وما حدث بعد ذلك من الأمـور ونفخ فى الصور وفى الحديث أن الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعيـوبه عند سيده ومحبوبه، قال: إلـهى أنـا أسأت فيقول الله تعالى: وأنا سـترت فيـقول: إلـهى وأنا ندمـت. فيقول الله تـعالى: وأنا علمت فيقول: إلـــهى رجعت فيقول الله تعالى: قبلت. أيـها الشاب إذا تبت ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا ثانيا وإذا نقضت ثانيا فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثا وإذا نقضت ثالثاً فإرجع إلينا رابعـاً فأنا الجواد الذى لا أبخل وأنا الحليم الذى لا أعجل وأنا الذى أستـر على العاصى وأقبل التـائبين وأعفو عـن الخاطئين وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين من ذا الذى أتى إلى بابنا فـرددناه؟ من ذا الذى لجأ إلى جنابنا فطردناه؟ من ذا الذى تاب إلينا وما قبلناه؟ من ذا الذى طلب منا وما أعطيناه؟ من ذا الذى استقال من ذنبه فما غفـرناه؟ أنا الذى أغفر الذنوب وأستر العيوب وأغيث المكروب وأرحم الباكى الندوب وأنا عـلام الغيوب يا عبدى قف علـى بابى أكتبك من أحبـابى، تمتع من الأسحـار بخطابى أجعلك من طلابى، لُذْ بحـضرة جنابى أسقك من لذيذ شرابى اهجر الأغبار والزم الافـتقار وناد فى الأسحار بلسان الزلة والانكسار وقل: إنى كنت من المحبين وأهل الاشتياق والاشتهار.

*****

الْعُمُرُ قَصِيرٌ

(إخـواني) جزاء الأعـمال بالميـزان عسـير والـوقوف بين يدى المولى بظلمـة المعاصى خطيـر فإلى متى فـى المطال والعمر قـصير؟ لا تدرى هول مـا أنت إليه تصير، وستندم إذا بعثر ما فى القبور ونفخ فى الصور وحصل ما فى الصدور.

ما احتيـالى وآمر ربى عصيت	حين تبدى صحـائفى ما جنيت
ما احـتيالى إذا وقـفت ذليلا	قـد نهانى ومـا رآنى انتهـيت
يا غنيـا عن العبـاد جمـيعـا	وعليـما بكل مـا قد سعـيت
ليس لى حـجة ولا لى عـذر	فاعف عن زلتى وما قد أتيت

كيف حالك يا أخى إذا بلغت القلوب الحناجر وقطـعت الحسرات الأكباد قطع الخناجر واشتد عطش المفرطين من شدة الهواجر؟ فيا أيها العاصى بادر باب مولاك وأدرك مواسم الأرباح قبل أن تبور. ونفخ فى الصور:

سمـعت حمامـه هتفت بليل	وقـد حنت إلى إلـف بعـيـد
فـأزعجت القلوب وأقلقـتهـا	ومـازلنا نقول لهـا: أعيـدى
أرى مـاء وبى عطش شـديد	ولكن لا سـبـيل إلى الورود
فـزد من مـاء مـوعظة ورودا	لتلقى الأمن لـلقلب الشـريد
ولازم خدمـة المولى عسى أن	تنال الفـوز من رب مـجـيـد

(إخوانى) كم خذلنا التفريط من البـاطلين وكم أقعدت البطالة قلوب الغافلين وكم أعمت الآمال بصائر الآملين وكم قطعت الأسباب قلوب الخائفين وحيل بينهم وبين ما يشتهون فإذا هم قيام ينظرون. أمالكم عيون من ألم الفراق تدمع؟! أمالكم قلوب من وحشه الانقطاع تخـشع؟! أمالكم أسماع تصغى إلى المواعظ فـتسمع؟! أمالكم أكباد من طلب الفانى فتشبع؟! بالله لتسألن عما كنتم تعملون فإذا هم قيام ينظرون.

(قيل): إن بعض المريدين حصلت له فترة فرجع إلى ما كان عليه ثم إنه ندم

وقال ترى لو رجعت عن ذنبى كيف يكون حالى مع ربى؟ فسمع النداء يا فتى عصيتنا فسترناك وتركتنا فأمهلناك فإن عدت إلينا قبلناك . . وإن كنت ما ترانا فنحن نبصرك نراك عصيتنا فى الملأ جهراً وأعطيناك وكم تباعدت عنا ثم قربناك بارزتنا بالخطايا ثم سامحناك ولو رجعت إلينا وطلبت الصلح صالحناك ثم قربناك بارزتنا بالخطايا ثم سامحناك ولو رجعت إلينا وطلبت الصلح صالحناك .

وكان على بن المرفق يقول فى مناجاته : سيدى وعزتك لا أبرح عن بابك ولو طردتنى ، ولا أزول عن جنابك ولو أبعدتنى ، ولا حول عن وصلك ولو قطعتنى ، ولا أسلو عن محبتك ولو عذبتنى ، سيدى ولو كنت محجوباً عن ناظرى فأنت فى قلبى وخاطرى إن كنت مقاطعى ومهاجرى فحبك مكنون فى سرى وضمائرى .

مالى وللناس؟ مالى وللناس؟!!

* قال بعض العلماء : رأيت غلاماً فى البادية وهو قائم وليس معه أحد منقطع عن العمارة والناس فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له يا فتى أنت فى مكان منقطع بلا معين ولا رفيق . قال بلى وعزة ربى معى المعين والرفيق . قلت : وأين المعين والرفيق؟ قال هو فوقى بعزته ومعى بعلمه وحكمته وبين يدى بهدايته وعن يمينى بنعمته وعن شمالى بعظمته .

فلما سمعت هذا الكلام قلت : ألك فى المرافقة؟ فقال :

هيهات مرافقتك تشغلنى عن خدمته ، وما أحب أن يكون هذا ولى ملك الأرض من مشرقها إلى مغربها . قلت له أما تستوحش فى هذا المكان؟ فقال : لى يا هذا من كان المولى حبيبه وأنيسه كيف يستوحش؟ قلت من أين تأكل؟ قال يا هذا غذانى بلطفه فى ظلمة الأحشاء صغيراً أفلا يكفلنى كبيراً ولى عنده رزق معلوم وله وقت محتوم فسألته الدعاء فقال لى حجب الله طرفك عن معصيته وملأ قلبك بخشيته قلت يا أخى متى ألقاك؟ .

قال : ابحث عنى يوم القيامة فى النار ، فإن لم تجدنى فيها فاتجه مع أناس إلى الجبار كى يرونه كما يرون الشمس فى عز النهار .

ثم انصرف يبكى وهو يقول: مالى وللناس، مالى وللناس؟!!.

هل منكم من يحمل كتابى إلى أحبابى؟

قال بعض السلف حججت إلى بيت الله الحرام فى بعض الأعوام فلما قضيت الحج وأردت الرجوع رأيت شاباً قد نحل جسمه واصفر لونه وخفى رسمه وقد وقف على الراحلة وتَنَفَّس تنفس الحزين. وقال: هل فيكم من يحمل كتاب الغريب الذى طالت غربته واشتدت زفرته وقويت حسرته من أجل عجوز أفنت عمرها فى تربيتى، وطال اشتياقها إلى رؤيتى؟، فهل فيكم من يحمل كتابى ويوصله إلى أحبابى ويغنم أجرى وثوابى؟.

ثم قال: بالله عليكم إذا وصلتم سالمين فأوصلوا إليها كتابى وأخبروها بما بى ثم أنشد يقول:

وقولوا: تركنا العامرى مولعـاً ... بنار الأسى والشوق قد بلغ الجهدا

فإن سألوكم كيف حالى بعدكم؟ ... فقولوا لهم: والله ما نقض العهـدا

قال فرق قلبى لما رأيت دموعه تسيل فأخذت كتابه من يده وقلت: ما الذى يمنعك عن الوصول إلى والدتك؟. فقال لى: يا سيدى إذا كانت الأقدار تعوق فماذا يصنع المخلوق؟ وقال:

خرجت وفى أملى عودة ... ولكننى لست أدرى متى

وإن قد تلذذت فى غربتى ... بأنس حبيبى لما أتى

ولكننى أرتجى فى غـد ... بها الاجتماع كما شتتا

قال: فلما فرغ من شعره أخذته رعشة ودموعه تتساقط فخر مغشيا عليه فاجتمع أهل القافلة إليه ثم أفاق بعد ساعة وهو يقول: هيهات هيهات إن ما توعدون لآت قريب المزار، ودنت الديار، وكان اللقاء، وآن الرحيل إلى دار البقاء ثم وقع ميتاً فارق بها الدنيا، فجهزناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه وسرنا طالبين البصرة فلما قربنا منها خرج أهل البلد لتلقى غُيَّابهم، والتهنئة بسلامة أصحابهم، وإذا فى آخر الناس عجوز ضعيفة البصر وقد أضرَّبها الكبر، قلبها رَطْبٌ بذكر

الله، وهي تمشي وترتعش وتقول: أما آن قدوم الغـائب أما آن قدوم الغائب أما لي في القافلة من خبر؟ قـال: ثم نادت يا معشر القادمين هل فيكم حامل كتاب فيه من ولدي خبر أو جواب ثم أنشأت تقول:

يعـود إلى أوطانه كل غـائب ونجلي مع الغيـاب ليس يعـود

لقد ذهبت عيناي من كثرة البكا ونيـران قلبي بالفراق تزيد

لقد كنت أرجو أن يعود ونلتقي ولكنني مـا أريـد بعـيـد

قال: فتقدمت إليها وقلت: لا أيها العجوز الحزينة الغريبة الضعيفة الكئيبة معي كتاب من شاب غريب يشكو البعاد، ويذكر أن أهله في هذه البلاد. ويشتاق إلى أم كانت له كثيرة الوداد وحينئذ صرخت العجوز صرخة وقالت هذه والله صفة ولدي الغريب فناولني الكتاب ليبرد قلبي من اللهيب. قال: فناولتها الكتاب، ثم أخذت تقبله وتضعه على عينيها وقلبها وتقول: يا رسول ولدي الغريب ما فعل بولدي الوحيد؟ فقلت لها: قضى نحبه ولحق بربه. قال: فلما سمعت أن ولدها أضحى غريباً وحيداً بكت بكاء شديدا ثم رفعت رأسها إلى السماء.

وهي تدمع بغزارة وما علمنا أنها روحها التي تخرج وليست بدموع. وقالت: سيدي ومولاي إنما كنت أحب البقاء في الدنيا رجاء الاجتماع بولدي واللقاء. الآن لا حاجة لي بعده في البقاء، ثم صرخت صرخة فوقعت على الأرض فجئت أتلمسها فإذا هي قد ماتت. [روض. ص/ ٨١].

الحمد لله الذي صدقنا وعده

وروى رافع بن عبد الله قال لي هشام بن يحيى الكناني: ألا أحدثك حديثا رأيته بعيني وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسى أن ينفعك قلت: حدثني يا أبا الوليد قال: غزونا في أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له: سعيد بن الحرث ذو حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فإن سرنا درس القرآن وإن أقمنا ذكر الله، فجاءت ليلة خفنا فيها خرجت أنا وإياه نحرس ونحن محاصرون عند حصن من الحصون، فرأيت سعيد من العبادة في تلك الليلة

وصبره على النصب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له: رحمك الله إن لنفسك عليك حقا فلو أرحتها؟ فبكى وقال: يا أخى إنما هى أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضى وأنا رجل أرتقب الموت وأنتظر خروج نفسى، قال فأبكانى ذلك، فقلت له: أقسمت عليك بالله إلا ما دخلت الخباء واسترحت فدخل فنام وأنا جالس ظاهر الخباء فسمعت كلاماً فى الخباء فقلت: ما فيه أحد سواه، فتقدمت قليلا فإذا به يضحك فى نومه ويتكلم فحفظت كلامه وهو يقول: ما أحب أن أرجع ثم مَدَّيده اليمنى كأنه يلتمس شيئاً ثم ردها رداً رفيقاً وهو يضحك ثم وثب من نومه وهو ينتفض فاحتضنته إلى صدرى ملياً وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكت وعاد إليه فهمه وجعل يهلل ويكبر فقلت له: ما الخبر؟ فقال: لا أخبرك، فأقسمت عليه، قال: أو تكتم عنى ما حييت؟ قلت: بلى قال: رأيت كأن القيامة قد قامت وخرج الخلق من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك إذ أتى رجلان لم أرَ أحسن منهما وجْهًا فَسلَّما عَلَىَّ فرددت عليهما السلام فقالا لى: يا سعيد أبشر فقد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك، واستجيب دعاؤك، فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم قال: فانطلقت معهما حتى أخرجانى عن جملة الموقف وإذا بخيل لا تشبه خيل الدنيا إنما هى كالبرق الخاطف فركبنا وسرنا إلى قصر شاهق وله نور يتلألأ فلما وصلنا إليه فتح بابه منه قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيئاً لا يبلغه وصف واصف ولا يخطر على قلب بشر، حتى وصلنا إلى جارية لم أرَ أحسن منها: فقال الرجلان: هذا منزلك وهؤلاء أهلك وهنا مقبلك ثم انصرفا عنى، فوثبت الجوارى بالترحيب كما يكون من أهل الغائب عند قدومه ثم حملونى حتى أجلسونى على سرير إلى جانب جارية وقلن: هذه زوجتك ولك أخرى مثلها ولقد طال انتظارك لها فكلمتها وكلمتنى، فقلت لها: أين أنا؟ وقالت: فى جنة المأوى فقلت: من أنت؟ قالت: أنا زوجتك الخالدة، ثم مددت يدى إليها فردَّتها ردا لطيفاً وقالت: أما اليوم قالت: راجع إلى الدنيا وستقيم ثلاثا، فقلت: ما أحب أن أرجع. فقالت: لابد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاث ثم نهضت من مجلسها فنهضت لوداعها فاستيقظت، قال هشام: فغلبنى بالبكاء، وقلت: هنيئاً لك يا سعيد فقد كشف الله لك عن ثواب عملك، فقال: هل رأى أحد غيرى ما رأيت؟ قلت: لا، قال: بالله عليك

لا تقل لأحد، فلما أصبح، قام فتطهر ومَسَّ الطيب وصام وأخذ سلاحه وسار إلى موضع القتال فقاتل إلى الليل وهو صائم ثم انصرف وتحدث الناس عن قتاله، فقالوا: ما رأيناه فعل مثل هذا اليوم لقد كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم، فقلت فى نفسى: لو يعلمون شأنه لتنافسوا فى مثل عمله ثم مكث قائماً إلى الليل، ثم أصبح فقاتل أشد من اليوم الأول ثم قام الليل قائماً ثم أصبح صائماً فقاتل وأبلغ من كل يوم قال أبو الوليد: فانطلقت معه لأنظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى بنفسه فى المهالك غالب النهار ولا يصل إليه شىء وهو صائم حتى إذا دنا غروب الشمس جاءه سهم فى نحره فخر على الأرض وهو يقول: لا إله إلا الله. فضج الناس وبادروا إليه أو جاوءا به يحملونه فلما رأيته قلت له: هنيئا لك يا سعيد فيما نفطر عليه الليلة يا ليتنى كنت معك، قال: فعض على شفته الشفلى والدموع تتساقط وهو يقول فى آخر أنفاسه: الحمد لله الذى صدقنا وعده. ثم مات رحمه الله. [روض. ص/٢٤١].

أتذكر نفسى وحدى فى ظلمة القبر

كان هشام الدستوائى ـ رحمه الله تعالى إذا زار المقابر ورجع إلى داره يمكث أياماً لا يستضىء بسراج فحينما سُئل عن ذلك قال: أتذكر نفسى وحدى فى ظلمة القبر. [التنمية. ص/٤٢].

أسرع إلى منازل السعداء

جاء فى كتاب عظة الألباب أن بعض الصالحين رأى صبيًا على باب مكتب يبكى فسأله عن ذلك فقال كتب لى المعلم فى اللوح سطراً فأبكانى فقلت: وما هو قال: بسم الله الرحمن الرحيم **﴿أَلْهَاكُمُ التَكَاثُرُ * حَتَى زُرْتُمْ الْمقابر * كلاَّ سوْف تعْلمُون * ثُمَ كلاَّ سوْف تعْلمُون﴾** تهديد بعد تهديد وتخويف بعد تخويف يخوف عباده، فقال له الرجل: أخر بكاءك إلى غد فإنه يكتب لك أبلغ من هذا وهو **﴿لترونَ الْجحيم * ثُمَ لترونَّها عيْن الْيقين﴾**إلى آخرها فاضطرب الصبى وسقط ميتاً، فخرج المعلم وأمسك بتلبابى وقال: أنت قاتله؟ قلت: لا. . إن الغلام قد أسرع إلى منازل السعداء بأمر ربِّ الأرض والسماء.

قُتِلْتُ بِسَيْفِ الْجَبَّار

قال منصور بن عمار ـ رحمه الله تعالى: رأيت شاباً يصلى صلاة الخائفين فلما فرغ قلت له: إن فى جهنم وادياً يقال له لظى نزاعة للشوى «أى لجلدة الرأس وقيل لمحاسن الوجه، فوقع مغشياً عليه فلما أفاق قال لى: زدنى. قلت: ﴿يا أيُّها الّذين آمنُوا قُوا أنفُسكُمْ وأَهْليكُمْ نارًا وَقُودُها النّاسُ والْحجارةُ﴾ فوقع ثم رأيته فى المنام فقال لى وهو على سريرة لقد أعطانى الله مثل ثواب أهل بدر. فقلت له لماذا؟ قال: لأنهم قتلوا بسيف الكفار وقتلت أنا بسيف الجبار. [النزهة. ص/٣٣-٣٤].

عسى يراه قتيلاً فيرحمه

قال بعض السلف ـ رضى الله عنهم أجمعين: رأيت شاباً فى سفح الجبل وعليه آثار القلق ودموعه تجرى على خدوده، فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: عبد آبق من مولاه، فقلت له: يعود ويعتذر. قال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة فكيف يعتذر المقصر؟ قلت: يتعلق بمن يشفع له قال: كل الشفعاء يخافون منه. قلت: فمن هو؟ قال: مولى ربانى صغيراً فعصيته كبيراً حيائى منه حين ألقاه من حسن صنعه وقبح فعلى، ثم صاح صيحة ودموعه على وجهه تتساقط فخر ميتاً، فخرجت عجوز تبكى وقالت: من أعان على قتل هذا البائس الحزين؟ فقلت: أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه فقالت: خله ذليلاً بين يدى قاتله عسى يراه قتيلاً فيرحمه. [الروض. ص/٦٧].

وثاق الموت فى عنقى

وحكى عن عطاء السلمى أنه كان كثير البكاء فسئل عن ذلك؟ فقال: لم لا أبكى ووثاق الموت فى عنقى والقبر منزلى والقيامة موقفى والخصوم حولى يقولون لى: يا مرائى بيننا وبينك الموقف لفصل القضاء. [روض ص:٦١].

ركضة إلى الفردوس الأعلى

قال ذو النون المصرى حججت سنة إلى بيت الله الحرام فلما وقفت بعرفات

رأيت شابا عليه آثار الاصفرار والتحول والقلق والذبول فسمعته يقول: كيف النجاة بلسان عصاك وقلب جفاك؟ سيدى ما أجمل هذه الساعة أو أنت تناجينى وفى هذا الموقف تنادينى، فلما دنا منى رأيته ينظر إلى الناس وهم ينحرون ضحاياهم فجرت دموعه وتزايد ولوعه وعظم خوفه وخشوعه ثم قال: الـــهى كل أحد قرب إليك بنسكه وتقدم بملكه وأنا ما أملك غير هذه النفس العافية الغافلة الساهية وأنا أقربها إليك بالذلة والمسكنه بين يديك فإن تكرمت بقبولها فجد بوصولها وأسرع فى تعجيلها فأنت دليلها إلى سبيلها ثم صاح وتأوه وسقط إلى الارض ميتا، ثم سمعت صوتا يقول: يا لها من ركضة إلى الفردوس الأعلى. قال ذو النون: فبقيت عند رأسه ساعة أتفكر فيه وإذا بعجوز قد أقبلت إليه وألقت نفسها عليه ثم أجرت الدموع أسفاً ثم قالت: هنيئاً لك يا من كان دأبه النسك والوفا وما غفل عن خدمة سيده ولا هنا وطالعا قام فى الليل برداء الطاعة ملتحفا، ثم أخذت تبكى وتقول: يا بنى فعلمت أنها امه. [الروض. ص/ ١٢٩ـ ١٣٠].

اشتغلوا بأمر الآخرة

موعظة لإبراهيم: قيل له عظنا فقال: إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا بأمر الآخرة وإذا اشتغلو بتزيين ظواهرهم فاشتغلوا بتزيين بواطنكم، وإذا اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا أنتم بعمارة القبور، وإذا اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا بعيوب أنفسكم وإذا اشتغلوا بخدمة المخلوقين فاشتغلوا بخدمة الخالق رب الخلائق أجمعين. [روض. ص/ ٢٥٦].

مثل الدنيا

قال عيسى عليه السلام مثل الدنيا كمثل رجل يسير فى مفازة فإذا أسد هائج فنظر وراءه فإذا الأسد يريده ونظر أمامه فإذا المفازة، ليس فيها ملجأ فلما أدركه الأسد رأى بئراً أى جبا فطرح نفسه فيه فتعلق بشجرة فوقف الاسد فوق الجب فنظر الرجل إلى أسفل الجب فوجد ثعباناً فيقول فى نفسه: الاسد من فوقى والحية من تحتى. حتى أنظر إلى الشجرة هل لها أصل أتمسك به؟ فإذا أصلها متعلق بغصنين وإذا بفأرة سوداء وفأرة بيضاء يقطعان فى العرقين فلا يزال متفكرا فيما هو فيه إذ نظر إلى غصن من أغصان الشجرة عليه ثمرة فيتناول منها فلا يشعر حتى

تقطع الفأرتان عرق الشجرة فتهلك فهذا مثل لطالب الدنيا والأسد فملك الموت وأما الشجرة فأجله وأما الفأرتان فالليل والنهار يقطعان أجله وأما الجب فهو القبر وأما الثعبان فالقبر وأما الثمرة فحطام الدنيا. [مصباح ص.[١/ ١٥ـ ١٦].

إليك عنى

حكى عن عبد الواحد بن زيد قال: مررت فى بعض الأزقة بشيخ أعمى أصم مقطوع اليدين والرجلين ضربه الفالج يصرعه فى كل وقت والزنا بير تنهش من لحمه والدود يتناثر من جنبيه وهو يقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرا من خلقه قال: فتقدمت إليه وقلت له: يا أخى وأى شىء عافاك الله منه؟ والله ما أجد جميع البلايا إلا محيطة بك قال فرفع طرفه إلى وقال لى يا بطال إليك عنى فإنه عافانى إذ أطلق لى لساناً يوحده وقلباً يعرفه وفى كل لحظة يذكره وأنشد:

حمدت الله ربى إذ هدانى ... إلى الإسلام والدين الحنيف

فيذكره لسانى كل وقت ... ويعرفه فؤادى يا للطيف

[شرح الأربعين النووية للفشنى ص١ـ٢٠]

التقى والعمل الصالح

صدق القائل: أيها الناس إن الآمال تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان تحت التراب تبلى، وإن الليل والنهار يتراكضان كركض البريد، يقربان كل بعيد، ويبليان كل جديد، وفى كل ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات. وسلى عن اللذات ورغب فى الأعمال الباقيات الصالحات ألا تستجيبون للنصائح أم عمى فى القلوب عن جميع المصالح؟ تالله ما ينفع المرء فى قبره إلا التقى والعمل الصالح بينما المرء فى دنياه يغتر بلذيد الشهوات غرق فى بحار الغفلات إذ أتاه الموت فجرعه من مره كاسات وألقى عليه من غمه غمرات فغشيته من كربه سكرات وأورثه عن شدته حسرات فرحل عما كان فيه من اللذات وأبكى الآباء والأمهات وأيتم البنين والبنات وجرت على مصائبه العبرات، وحمل على الأعناق إلى الفلوات، وصار فى قبره من جملة الرفات، وخلا بعمله من الحسنات والسيئات لا ينفعه فى قبره غير التقوى والطاعات، أفلا يعتبر العاقل بمصرع من مات وقد حوته القبور الدارسات،

أين العبيد والسادات؟ فكيف يُطْمَعُ فى البقاء وقد قال صاحب الدلائل والمعجزات «إن للموت لسكرات».

البائس الحزين

قال بعض السلف ـ رضى الله عنهم ـ: رأيت شاباً فى سفح الجبل عليه آثار القلق ودموعه تجرى على خدوده فقلت له: من أنت يرحمك الله؟ قال: عبد آبق من مولاه فقلت: يعود ويعتذر، قال: العذر يحتاج إلى إقامة حجة فكيف يعتذر المقصر؟ قلت: يتعلق بمن يشفع له. قال: كل الشفعاء يخافون منه قلت: من هو؟ قال: مولى ربانى صغيراً فعصيته كبيراً فواحيائى منه حين ألقاه من حسن صنعه وقبيح فعلى ثم صاح وخر ميتاً، فخرجت عجوز وقالت: من أعان على قتل هذا البائس الحزين، فقلت لها: أقيم عندك حتى أعينك على تجهيزه، فقال: خله ذليلا بين يدى قاتله عسى يراه ذليلاً فيرحمه. [روض ص/ ٦٧].

خَرّ الصالحُ مَيّتاً

قيل: إنه كان بمصر رجل تاجر فى التمر يقال له: عطية بن خلف وكان من أهل الثروة ثم افتقر ولم يبق له سوى ثوب يستر عورته فلما كان يوم عاشوراء صلى الصبح فى جامع عمرو بن العاص ومن عادته أن يخرج بعد الصلاة ليمشى فى الطرق فترة، ومشى يدعو الله فجاءته امرأة ومعها أطفال أيتام فقالت: يا سيدى سألتك بالله إلا ما فرجت عنى وآثرتنى بشىء أستعين به على قوت هذه الأطفال فقد مات أبوهم وما ترك لهم شيئاً وأنا شريفة ولا أعرف أحداً أقصده وما خرجت فى هذا اليوم إلا لضرورة.

فقال الرجل فى نفسه: أنا ما أملك شيئاً وليس عندى غير هذا الثوب الوحيد وإن خلعته انكشفت عورتى وإن رددتها فأى عذر لى عند الله ورسوله فقال لها: اذهبى معى حتى أعطيك شيئاً فذهبت معه إلى منزله فأوقفها على الباب ودخل وخلع ثوبه واتزر بخلق كانت عنده ثم ناولها الثوب من شق الباب فقالت له: ألبسك الله من حلل الجنة ولا أحوجك بعد الليلة فتوضأ وصلى لله ثم نام فرأى فى المنام حوراء لم ير الراءون أحسن منها وناولته حلة من حلل الجنة وأطعمته من فاكهة الجنة، فلما استيقظ الرجل بكى كثيرا ورفع يديه إلى السماء وقال: إلهى

لقد أريتني ما عندك فخذني إليك، فخر الرجل ميتاً رحمه الله. {انظر الروض ص٢١٣/ ٢١٤}.

سيروا إلى ربكم

كان خليل العصيري يقول: كلنا قد أيقن بالموت وما نرى له مستعداً، وكلنا قد أيقن بالجنة وما نرى لها عاملاً. وكلنا قد أيقن بالنار وما نرى لها خائفاً فعلام ترجعون وما عسيتم تنتظرون؟ الموت أول وارد عليكم من الله تعالى بخير أو بشر فيها إخوتاه سيروا إلى ربكم سيراً جميلاً.

بقى القليل

مكث بشر الحافى خمسين سنة يشتهى الهريسة ففتح الله عليه فى بعض الأيام بدرهم فمضى إلى السوق ليشترى به، فسمع الهراس ينادى ويقول: ماذا خبىء للصوام؟ فرجع بشر باكياً، ولم يَشْتَرِ شيئاً فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج إلى السوق ثانياً ليشتريها وإذا بالهراس ينادى: بقى القليل فبكى بشر ورجع وعاهد الله أن لا يذوقها.

صعد النور إلى العرش

إخوانى/ آه على من كانت النار مثواه آه على من عصى مولاه، آه على من باع آخرته بدنياه. آه على من كان التعذيب عقباه، آه على من استهواه فيه فاستعبده هواه، آه على المطرود من آخرته ودنياه فالكافر بالله ممقوت، وعلى غير الإسلام يموت، الجحيم مأواه، والهاوية متقلبه ومثواه، وهو ملعون عند الله، مطرود فى أرضه وسماه.

قال الفخر الرازى: جاءت إمرأة إلى بعض أكابر العلماء بزيت وقالت: اسرجه بالمسجد فقال: أيما أحب إليك نور يصعد إلى السقف أم نور يصعد إلى العرش؟ قالت: بل إلى العرش قال: إذا صُبَّ الزيت فى القنديل صعد نوره إلى السقف وإذا صُبَّ فى طعام لفقير جائع صعد النور إلى العرش ثم أطعمه الفقراء. {مصباح ٣٤}.

لطيفة أخرى: اتفق أن رجلا من بنى إسرائيل كانت له امرأة يحبها ومعه أم عجوز وأم امرأته عجوز أيضا وكانت تغرى ابنتها بأم زوجها وكانت العجوزان قد ذهب بصرهما فلم تزل امرأته به حتى خرج بأمه ووضعها فى فلاة من الأرض ليس معها طعام ولا شراب ليأكلها السباع ثم انصرف عنها فغشيتها السباع فجاءها ملك فقال لها: ما هذه الأصوات التى أسمع حولك؟ قالت: خيرا بإذن الله هذه أصوات إبل وبقر وغنم قال: خيراً فليكن إن شاء الله ثم انصرف عنها فلما أصبحت أصبح الوادى ممتلئا إبلاً وبقراً وغنماً، فقال ابنها: لو جئت فنظرت ما فعلت أمى فجاء فإذا بالوادى قد امتلأ من الأبل والبقر والغنم فقال: أى أماه ما هذه الخيرات كلها، ثم أخذها إلى داره، فقالت له زوجته: آأبى إلا أن تأخذ أمى وتضعها حيث وضعت أمك فإن أمى تأتى بالخير الكثير، فذهب ووضعها فغشيتها السباع فجاءها ملك، فقال لها: ما هذه الأصوات التى أسمع حولك؟ قالت: شرا أسمع - صوت سباع ووحوش. قال: ليكن ذلك إن شاء الله، فأكلتها السباع والوحوش ولم يبقَ منها إلا العظم، فذهب الشاب إليها فلم يجد إلا عظامها، فحملها إلى زوجته فلما رأتها ماتت حزنت وكمدت عليها.

جزاء من استشفع بالخالق

حكاية أخرى: اتفق أن جماعة من أتباع هارون الرشيد أخبروه بأنهم قبضوا على عشرة أشخاص من قطاع الطريق وقالوا له: انظر بماذا تأمرنا فيهم فأمرهم أن يبعثوهم إليه فأخذهم جماعة إلى الخليفة ومضوا بهم إليه فهرب واحد منهم فى بعض الطريق فحصل لهم تعب شديد وقالوا: إن ذهبنا بالتسعة إلى الخليفة يقول: إنكم أخذتم الأموال وجعلتموها مع واحد وخليتم سبيله ويعاقبنا ولكن دعونا نأخذ واحداً من الطريق مكانه فبينما هم كذلك إذ مر بهم واحد من الحجاج فأخذوه وجعلوه مع التسعة فلما وصلوا إلى الخليفة أمر بحبسهم فى السجن فحبسوهم مدة ثم قال لهم السجان: هل لكم أحد من الاقارب والمعارف يشفع لكم عند الخليفة؟ قالوا: نعم، فأرسلوا إلى معارفهم فبذلوا للخليفة عن كل واحد عشرة آلاف درهم وأطلقوا سراح محابيسهم فانطلقوا. جميعا ولم يبق إلا الحاج، فقال له السجان: ألك شفيع؟ قال: لا، ولكن إذا كتبت مكتوبا هل توصله إلى

الخليفة؟ قال: نعم، قال: فاحضر لى دواة وقرطاساً فأحضرهما له فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: من العبد الذليل إلى الرب الجليل أما بعد، فإن المخلوقين لهم شفعاء منهم فى الجرم والجناية فقد شفعوا لهم عند الخليفة وأطلقهم وأنا بقيت فى السجن منفرداً وأنت يا رب شاهدى يا رب لقد أتيت من بيتك الحرام ومن عند نبيك المختار، فأنت شاهدى وشفيعى وأنا عبدك لم أذنب، وحسبى الله ونعم الوكيل فقال له السجان: لا أستطيع إيصال هذه إلى الخليفة، فقال له المسجون: ضعها على سطح السجن، فلما وضعها طارت فى الهواء إلى السماء من رمية السهم عن القوس القوى، وكان الرشيد جالساً فوقعت الورقة بين يديه فقرأها ولم يعط لها بالاً، فلما نام فى الليل جاء فى المنام قائل يقول له: إن رب العزة يقول استشهدك عبدى بى فلم تجبه فبعزتى وجلالى إن لم تخرجه لأهلكنك، فلما أصبح الرشيد قام فزعاً ومر على السجون ووصل إلى سجن هذا الحاج فأخبره بالحكاية فأخرجه الرشيد وأجزل له العطايا من المال والحلل فنادى وقال: من استشفع بالمخلوقين يعطى عشرة آلاف وهذا جزاء من استشفع بالخالق. انظر [المصباح ١/١٤٩- ١٥٠].

*****

سطوة الملك المتعال

قال محمد بن السماك الواعظ رحمه الله وصف لى عابد فسرت إليه لأزوره فوجدته فى بيت وقد حفر فيه قبره وهو جالس على شفيره يصلح خوصا بين يديه فسلمت عليه فرد على السلام ثم قال: من أنت؟ فقلت: محمد بن السماك قال الواعظ؟ قلت: نعم فألقى الخوص من يده وقال: يا ابن السماك إن الواعظ من المستمع بمنزله الطبيب من العليل فاعرض على شيئا من وعظك فقلت: يا شيخ أما تخشى أن تكون خطيئتك لا تنسى وذنبك لا يمحى؟ ثم كم بين يديك من شدة وأهوال وكربه وأنكال فأولها ظلمه القبر ثم ظلمة النشر ثم ظلمة الحشر ثم ظلمة الصراط ثم وزن الأعمال ثم قطع الآمال ثم سطوة الملك المتعال؟ فبكى بكاء شديدا وقال لى: يا ابن السماك وما بعد ذلك؟ قلت: حمل الأوزار والورود على النار وأعظم من ذلك توبيخ الملك الجبار فصاح صيحة عظيمة ثم سقط ميتا فى قبره فخرجت إليه عجوز وجعلت تمسح التراب عن وجهه وتقول هاتان العينان طالما سهرتا فى طاعة الله وطالما بكتا من خشية الله.

ما تشتعل الكبار إلا بالصغار

قال عبد الله بن واسان رحمه الله تعالى عليه: عبرت يوما فى أزقه البصره فوجدت صبيا يبكى وينتحب فقلت له: يا ولدى ما الذى يبكيك؟ فقال: خوفا من النار فقلت: يا ولدى أنت صغير السن وتخاف من النار؟ فقال: يا عم نظرت إلى أمى وهى توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار قبل الكبار فقالت: يا ولدى ما تشتعل الكبار إلا بالصغار فقلت له يا ولدى هل لك فى صحبتى فتتعلم ما ينفعك؟ فقال: على شرط فإن قبلت أصحبك واتبعك قلت: وما هو؟ قال إن جعت تطعمنى وإن عطشت تسقينى وإن زللت تغفر لى وإن مت تحيينى؟ فقلت له: يا ولدى لا أقدر على ذلك كله فقال: يا عم فإنى على باب من يقدر على ذلك كله؟.

منك أرجو ولست أعرف ربا	أرتجى منه بعض ما منك أرجوا
وإذا اشتدت الشدائد فى الأ	رض على الخلق فاستغاثوا
وابتليت العباد بالخوف والجو	ع فصبروا على الذنوب ولجوا
لم يكن لى سواك ربى ملاذا	وتيقنت أننى بك أنجو

قيل: إن القاسم رحمة الله عليه حج هو وجماعة من الفقراء المسلمين فانقطع عنهم الماء أياما حتى اشرفوا على الهلاك وكانو تحت جبل فقال لأحدهم: خذ هذه الركوة واصعد إلى ذروة هذا الجبل فخذ لنا تراباً طيباً طاهراً حتى نتيمم به فأخذها وصعد إلى الجبل فجعل يأخذ التراب ويجعل فى الركوة وإذا بصوت يناديه فالتفت فإذا هو راهب فى دير يناديه ما تصنع بهذا التراب؟ فقال: نحن مسلمون إذا عدمنا الماء تيممنا بالتراب فقال: عندى بئر عذب شراب خذ منها واشرب وتوضأ فقال له المسلم: نحن جماعة تحت الجبل فـقال: انزل إليهم واعرض ذلك عليهم فنزل إلى الجنيد.

فأعلمه بذلك فقال: اصعد إليه وقل له نحن فى سبعين مرقعه أتحملنا؟ فصعد إليه وقال له ذلك: فـقال أحملهم ولو كانوا ألفا إكـراماً لمحمد وأمته فـإنى أحبهم فنزل المسلم إلى الجنيد وأخبره بقول الراهب فصعد هو والجماعة وفتح لهم الراهب باب الدير فوجدوا بئراً منقورة وفيها ماء عذب طيب فاستقوا منها وشربوا وتوضأوا وصلوا فلما فرغوا قـدم لهم الراهب صحفاً على عددهم فيـها أنواع الطعام فأكلوا وقدم لهم الطشت والإبريق فغسلوا أيديهم وطيبهم بالماء وورد المسك فلما استقروا سألهم هل فيكم من يقرأ شيئاً من القرآن؟ فـأمر الجنيد بعض مريديه فاستفتح وقرأ ﴿**إن الذين سبـقت لهم منَّا الحسنى أولئك عنها مـبعدون**﴾ فصرخ الراهب وقال: اصطلحنا ورب الكعبة هل فيكم من يحسن أن يقول شيئاً؟ فأنشد بعض المريدين:

أقـام على الإبعاد حـينا من الدهر ... فـعرفـه كـيف الطريق إلى العـذر
وأشفق أن يبـقى على حاله الجـفا ... فيغرق فى بحر الصدود ولا يدرى
لأن جـــراحـات الجـناية بالوفـــا ... وإن برئت لا ينمحى موضع الأثر

فبكى الراهب طويلاً ثم قال زياده فأنشد له ثانياً:

لبيك يا من فى القديـــم دعانـــى ... وإليه باللطـف الخـــفى هدانـى

فصرخ الراهب وقال لبيك سيدى لبيك وها أنت قد دعوتنى إليك وأنا أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

ما الذى عَوَّضَكَ الله ؟

قيل: جلس عبد الله بن مشرف وزير هارون الرشيد بين يديه فقال يا أمير المؤمنين لو استغاث بك رجل فى رد عبد له هرب إليك أما كنت ترده إليه؟ فبكى الرشيد ومن حضره وقال هذا رجل قد نجا من بيننا ونحن جلوس ننظر إليه ثم خلى سبيله فخرج من وقته محرماً يقول لبيك اللهم لبيك فلقيه سفيان الثورى فسلم عليه وقال يا عبد الله ما الذى عوضك الله عما تركت؟ فقال يا سفيان عوضنى الرضا بما أنا فيه. فلما بلغ شيوخ الحرم قدومه خرجوا للسلام عليه فرأوا شعثه وجهده فقالوا له كيف رأيت عبادة مولاك؟ قال: قدرت جئت أسعى على رأسى ثم أخذ فى البكاء فقيل له: وما هذا البكاء؟ فقال شفيع قدمته لعله يقبل فلما وقع بصره على البيت شهق شهقة ومات رحمه الله تعالى.

الْخَوْفُ يَوْم النُّشُور

قال محمد بن السماك رحمه الله عليه: وصف لى عابد فى بعض جبال الشام فسرت إليه وسلمت عليه فرد على السلام وقال لى يا ابن السماك ما أوردك إلى هذا المكان؟ قلت سمعت بك فجئت أزورك فقال: غرك من أخبرك أنا أعرف بنفسى من غيرى فالعاقل يا ابن السماك من يجتهد فى الخلاص قبل الهلاك قلت هل لك من حاجة؟ قال من جلس فى هذا المكان لم يبق له حاجة إلى إنسان ثم قال يا ابن السماك هل لك أنت من حاجة فقلت له سألتك بالله إلا ما أخبرتنى ما الذى تحب من الدنيا والآخرة؟ فبكى وقال: والله لولا أقسمت عَلَىَّ ما أخبرتك. فأما الذى أحبه من الدنيا فقوة على الطاعة وزهد وقناعه نفسى بعيدة عن الهوى وقلب حشوه الخوف والجوى وأما الذى أحبه من الآخرة فسماعى من سيدى: اذهب فقد غفرت لك ثم تأوه ووقع على الأرض ميتاً. فهبت من حاله وحرت فى أمره وهممت بغسله وتجهيزه فسمعت هاتفاً من خلفى يقول يا ابن السماك هون عليك فليس أمره إليك ثم غيب عنى فسمعت صب الماء عليه وأنا لا أنظر إليه وسمعت قائلاً هنيئاً لك أيها الولى المحبور بالأمن من الخوف يوم النشور.

(**إخوانى**) أين الذين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون؟ أين الذين قيل فى حقهم ﴿**وبالأسحار هم يستغفرن**﴾؟ أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع؟ أين من بات وهو لربه ساجد وراكع؟ أين الذين سبقت لهم العناية بالتوفيق والهداية؟

قال عبد الواحد بن زيد رحمة الله عليه: خرجنا جماعة من الفقراء نريد سفراً فى البحر فعصفت الريح بنا فطرحتنا على جزيرة فى البحر فرأينا فيها رجلا يعبد أصناماً من دون الله تعالى فقلنا له: أى شىء تعبد؟ فأومأ بإصبعه إلى الصنم فقلنا له: يا مسكين إن معنا فى السفينة من يحسن يصنع مثل هذا وإن هذا ليس بإله يعبد قال. فأنتم ما تعبدون؟ قلنا: نعبد الله قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الأحياء والأموات قضاؤه فقال: فكيف علمتم ذلك؟ قلنا: أرسل إلينا رسولا أخبرنا بذلك قال فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى رسالة الملك قبضه إليه قال: فما ترك عندكم علامة من الملك؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملك قال: أرونى كتاب الملك فإن كتب الملوك تكون حسنة قال: فأتينا بالمصحف فقال: لا أحسن اقرأ هذا فقرأنا عليه سورة فما زال يسمع ويبكى إلى أن ختمنا السورة وعلمناه شرائع الإسلام وشيئاً من القرآن فلما أقبل الليل صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا للنوم فقال: يا قوم الإله الذى دللتمونى عليه ينام قلنا: لا يا عبد الله.

هو حى قيوم لا تأخذه سنه ولا نوم قال فبئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فأحببنا كلامه فلما وصلنا إلى عبادان وأردنا أن نتفرق جمعنا له دراهم وقلنا له: انفق عليك هذه فنظر إلينا مغضباً وقال: لا إله إلا الله دللتمونى على طريق ولم تسلكوها أنا كنت فى جزيرة فى البحر أعبد صنماً من دونه فلم يضيعنى فكيف الآن وقد عرفته؟ ثم تركنا ومضى وقال عبد الواحد: فلما كان بعد أيام أتانى أت فأخبرنى عنه أنه يعالج سكرات الموت فجئته وقلت: ألك حاجة؟ قال: قد قضى حوائجى من عرفتنى به فبينما أنا أكلمه إذ غلبتنى عيناى فنمت فرأيت فى المنام روضة وفى الروضة قبه وفيها سرير وعليه جارية أجمل من الشمس والقمر وجهها وهى تقول: سألتك بالله إلا ما عجلت علىَّ به فانتهيت إليه فإذا هو قد مات

فجهزته ودفنته فى قبره فلمـا نمت رأيته فى المنام فى القبة التى رأيتها أولاً والجارية إلى جانبـه وهو يتلو قولـه تعالى **﴿والملائكة يدخلون عليـهم من كل باب سـلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾**.

فريق فى الجنة وفريق فى السعير

وقيل: إنه لما مات زوج رابعـة العدوية استأذن الحسن البصرى فى الـدخول عليها هو وأصحابه فأذنت لهم وأرخت ستراً وجلس وراءه فـقال لها أصحابه: إنه قد مات زوجك ولابد لك من زوج وقـد انقضت عدتـك فاختـارى من هؤلاء الزهاد من شئت، منهم فقالت: من هو أعلمكم؟ قالوا: الحـسن. فقالت له: إن أجبتنى عن أربع مسائل فأنا لك أهل فقال لها: سلى وأجيبك إن وفقنى الله تعالى. قالت: ما قول الفقيـه العالم إذا أنا مت هل خرجت من الدنيا مسلمة أو كـافرة؟ فقال: هذا غيب والغـيب لا يعلمه إلا الله تـعالى. قالت: فـما يقـول إن وضعت فى القـبر وسألنى منكر ونكير أفـأقدر على جوابهما أم لا؟ قال: وهذا أيضـاً غيب. قالت: فإذا حشر الناس فى القـيامة وتطايرت الكتب فيعطى بعضهم كـتابه بيمينه ويعطى بعضهم كتابه بشماله أفأعطى كتابى بيمنى أم بشمالى؟ قال: وهذا أيضا غيب.

قالـت: فإذا نودى فى الخـلائق فريق فى الجنة وفـريق فى السعـير فـمن أى الفريقين أكون؟ قال لها: وهذا أيضاً غيب ولا يعلم الغيب إلا الله عز وجل.

قالت له فـإذا كان الأمـر كذلك وأنا فى قلق وكرب من هذه الأربـعة فكيف أحتاج إلى الزواج أو أتفرغ له؟

كم من فضيحة تكشفها يوم القيامة

قال صالح المرى رحمه الله عليـه: رأيت جارية وهى تغنى بالطار فمرت يوماً بقـارى يقـرأ: **﴿وإن جـهنم لمحـيطـة بالكافـرين﴾** قـال: فـرمت الطار من يدها وصرخت ثم سقطت إلى الأرض مغـشياً عليها فلما أفـاقت كسرت الطار وأخذت فى العبـادة والاجتهاد ثم قـالت: أواه كم من فضيـحة تكشفـها القيامـة غداً؟ ثم صـرخت وبكت فلم يبق أحد فى المجلـس حتى غـشى عليه من شـدة البكاء مما صنعت بنفسها.

بحر ذنوبى غريق

(قال ذو النون المصرى رحمة الله عليه):

وصف لى عابدة من الزهاد فقصدتها فإذا هى صائمة بالنهار قائمة بالليل لا تفتر عن العبادة ولا تمل من العمل وهى مقيمه فى مكان خرب فلما جن الليل سمعتها تقول: سيدى لا ينام ولا ينبغى له المنام فكيف الجارية تنام؟ فلما أصبحت سلمت عليها فردت على السلام فقلت لها: يا جارية تسكنين فى مساكن خربة وأنت على هذه الحالة؟ فقالت: يا ذا النون لا تتكلم بمثل هذا الكلام السقيم وأنت على هذا القدم العظيم فلا يخطر غير الله فى بالك ولا تتوهم غيره فى خيالك فقلت لها: أما تستوحشين فى هذا المكان؟ فقالت: والذى ملأ قلبى من لطيف حكمته وهيمنى فى محبته ما علمت فى قلبى موضعاً لغيره ولا فى جسدى عرقاً إلا وهو ملآن بمعرفته فكيف أستأنس بذكره وأنا دائماً فى حضرته؟ فقلت لها: قد أرشدتينى إلى الطريق فاسلكى به مسالك القوم فإنى والله فى بحر ذنوبى غريق فقالت: يا ذا النون اجعل التقوى زادك والآخرة مرادك والزهد والورع مطيتك والانقطاع إلى الله تعالى سُجدتك وارم هذه الدنيا من قلبك فهو سبب الرجوع إلى ربك واسلك طريق الخائفين واترك طريق المذنبين تكتب فى ديوان الموحدين وتلقى الله وليس بينك وبينه حجاب ولا يردك عنه بواب قال ذو النون: فأثر كلامها فى قلبى وكان سبب رجوعى إلى ربى ثم تركتنى ومضت.

وخرج الخلائق من القبور

رحل الأحباب إلى القبور وسترحلون، وتركوا الأموال والأوطان وندموا على التفريط فى الأعمال وستندمون، وتَأَسَّفُوا على أيام الإهمال وستتأسفون، وشاهدوا ما لهم عند المنون وستشهدون، ووقفوا ببصائر عن الأحوال وستقفون وسئلوا عما عملوا وستسألون ويود أحدكم لو يفتدى بالمال وستودون فبادروا للمتاب قبل يوم الحساب وخيبة الظنون فكأنكم أيام الشباب قد أبلتها يد المنون أفلكم من فجأة الموت ما كنتم توعدون ﴿**ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون**﴾ فكيف بك يا ابن آدم إذا نفخ فى الصور وبعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور وضاقت الأمور

وظهر المستور وخرج الخلائق من القبور ﴿**فإذا هم قيام ينظرون**﴾ يا له من يوم عظيم فيه الزلزال وسيرت الجبال وترادفت الأهوال بنفخة الصور يرجفون ﴿**فإذا هم قيام ينظرون**﴾ يوم تزل فيه الأقدام وتتبلد فيه الأفهام ويطول القيام وتظهر الآثام فهو يوم القيامة يوم الحسرة والندامة يوم الزلزلة، يوم الطامة يوم يشاهد العاصى ذنوبه، وآثامه، يوم يخرجون من الجداث بالإنبعاث إلى ما يوعدون فإذا هم قيام ينظرون، يوم تبلى السرائر وتكف الضمائر وتظهر الجوائر وتعمى البصائر ويبهت الخسائر ويفتضح أهل الكبائر، ويبعث ما فى القبور فيخرج المؤمن والكافر والبر والفاجر إلى الموقف يصرخون ﴿**فإذا هم قيام ينظرون**﴾.

كان محمد بن السماك كثير البكاء فسئل عن ذلك فقال آية فى القرآن أبكتنى ﴿**وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون**﴾ لا تذوق العيون من البكاء ألمها وهى لا تدرى بما يختم لها.

(إخوانى) سار المتقون ورجعنا، ووصلوا وانقطعنا، وأصابوا وامتنعنا ونجوا من الإشراك ووقعنا، تعالوا ننظر فى آثارهم وندرس دارس أخبارهم ونبكى على ما نابنا ونحزن على ما لحقنا وأصابنا، ونتوب إلى الله ربنا.

هذا والحمد لله رَبِّ العالمين

المؤلف/ الداعية الإسلامى

محمد عبد الملك الزغبي

المنصورة

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

٢ـ فتح البارى بشرح صحيح البخارى.

٣ـ صحيح مسلم بشرح النووى.

٤ـ سنن أبى داود.

٥ـ سنن الترمذى.

٦ـ مسند أحمد.

٧ـ سنن ابن ماجة.

٨ـ سنن النسائى.

٩ـ سنن الدارمى.

١٠ـ سنن ابن منصور.

١١ـ المستدرك للحاكم.

١٢ـ التوابون ـ لابن قدامة.

١٣ـ الصلاة ـ للخراط.

١٤ـ التذكرة ـ للقرطبى.

١٥ـ التبصرة ـ لابن الجوزى.

١٦ـ الموارد ـ لعبد العزيز السلمان.

١٧ـ المصابيح.

١٨ـ الروض لشعيب الحرفين.

١٩ـ حياة الصحابة ـ للكاندهلوى.

٢٠ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ـ لسميح عاطف الزين.

الفهرس